روايات غادة

ديبورا وينترز

فتاة المدينة

www.elromancia.com
مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

غـــادة

فتاة المدينة

ديبورا وينترز

مائيو بلاك كان اشد سواداً من اسمه. لكن كاثرين كانت مضطرة للجوء اليه، بعد ان فقدت كل شيء لوفاة ابيها.. وبوجود شقيق لها ترعاه. لكن الواقع لم ينطبق ابداً على الخيال.. فبلاك لم يرحب بها كما تصورت بل انه مال الى استغلالها... مع ذلك كانت تتعلق به اكثر فأكثر بمرور الايام.. والايام تحمل الكثير.. فالى اين المصير؟

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الظميني للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٧٨٩٩

- ١ -

إلى أين؟

تنهدت كاثرين بإحباط.. ونظرت إلى أخيها اليكس القابع إلى قربها في السيارة يعض على شفته عابساً.. لوحدها، كان يمكن لها أن تشق طريقها بسهولة، ربما.. لكن هذا ثبتت صعوبته بوجود أخيها الصغير. لا شيء يبدو أنه يسير بشكل صحيح منذ ليلة الحريق المرعبة، حين احترق منزلهم حتى الأرض.. والأسوأ من هذا أن والدهما مات في المحرقة.. لا هي ولا اليكس، تمكنا من معرفة سبب ما حصل. ولم يجد أحد أي دليل حاسم أن الحريق لم يكن حادثاً.. ولم يعرف أحد إلا فيما بعد ،ان جورج هايلاند، قد أفلس، وأنه أصبح في حالة ذهنية يائسة، وبشكل لا يصدق، ذهب كل ما يملكه ليدفع ديونه المتراكمة.. عندها فقط، ولأول مرة، شكرت كاثرين العناية الإلهية لموت أمها وهي تلد اليكس.. كانت في الثامنة من عمرها حين ولد، ولا تزال تتذكر والدتها الجميلة المحبة

للفخامة.

الوقت الذي تلا الحريق، وافلاس أبيها، كانت تحاول دوماً أن تنساه.. تبع هذا سلسلة من الوظائف البغيضة لها، لأنها لم تتدرب على أي عمل، مع ذلك كانت مستعدة لتحمل أي شيء.. لولا أن كان لها في كل وظيفة رجلاً تبدو له الفتاة النحيلة، ابنة الثمانية عشرة ربيعاً، العذراء، تحدياً صامتاً.

لو أنها فقط حصلت على تعليم مكتمل بالتدريب، لكي تكون قادرة على التقدم لما هو صالح من العمل، والتألق، أو أن تمر عبر القنوات الصحيحة للعمل السليم.. وبهذه الطريقة لا يمكن أن تتأذى لكنها لم تكن تستطيع التقرب من أي انسان يمكن له مساعدتها.. وسرعان ما واجهت امكانية أن يؤخذ أخيها الصغير منها، وهذا أمر لا يمكنها التفكير فيه، ولا اليكسندر كذلك.

وهكذا، حتى الآن، تمكنت من الهرب في آخر لحظة، من رجال مملين؛ متوسطي العمر عادة؛ اللذين كانوا يلاحقونها بشراهة إلى أن أتى يوم ادركت أنها لن تستطيع الهرب أكثر من هذا.. وما كانت تكسبه لم يكن كافياً، حتى أن اليكس بدأ يعاني من التغيير والانتقال الكثير، والاضطرار إلى الاكتفاء بما هو أقل من اللازم للحياة.

حين بُلي حذاءه، وأصبح قدمه يصل إلى الأرض، بدأت فعلاً تحس باليأس.. لو أن لهما صديق يلجآن إليه.. لكن منذ السقوط لم يرغب أحد في التعرف إليها.. وكبرياءها منعتها من

التوسل.

عرفت كاثرين، من قراءتها لمذكرات والدها، أن لهما ابن عم بعيد.. هذه المذكرات كان يحتفظ بها والدها في مكتبه، وهذا ما يفسر عدم معرفتها المسبقة لها. وقال لها المحامي السيد وايت عن المذكرات، أن لا قيمة كبيرة لها، متنهداً بأسى.. مع ذلك اعطاها اسم باحث معروف في أصول العائلات، كان والدها قد تعاقد معه ليبحث في شجرة عائلته، واقنعها المحامي أن هذا أمر يجب أن تلاحقه.

بالرغم من امتلأ المذكرات بالمواعيد وملاحظات العمل، إلا أنها كانت غنية بالمعلومات عن أسلافه.. اما لماذا يصرف والدها كل هذا المال على مثل هذا البحث فهي لا تدري.. لكن أمراً واحداً توصل إليه وكان واضحاً.. ليس لهما أي أقرباء مقربين أحياء... وأن هذا الاسم، ماثيو بلاك، هو متحدر من فرع من العائلة هاجر إلى اوستراليا في القرن التاسع عشر، وفي عام ١٨٠٥ على وجه التحديد... خاملاً معه مبلغاً محترماً يومها يبلغ خمسماية جنيه.. أقر فيها له شقيق أكبر.. ينحدر جورج هايلاند منه مباشرة لم يكن هناك أي تسجيل لاعادة هذا الدين. ولا زال هناك ذكر له في اليوميات التي اعتادت الأجيال المتعاقبة على كتابتها.

قال لها المحامي معلقاً على كل هذا:

- هذه أمور من الصعب اثباتها.. أو يجب أن أقول انها مستحيلة.. ولا بد أن اعترف، من حيث الوقائع، أن والدك

كان يضع في رأسه شيئاً.. لكن اشك في أن يكون كسباً مادياً.. ليس بالنسبة له على أي حال.. فمثل هذا المبلغ الزهيد لو ثبت ما كان سينقذه.

مرة أخرى، احست كاثرين أن المحامي يحاول اقتراح امر ما لذلك قرأت المذكرات كلها بالتفصيل، ربما لأنها لم يكن لها ما تشغل به أوقاتها في ليالي الشتاء الطويلة..

فرع العائلة الاوسترالي، يعيش شمال مقاطعة نيو ساوت ويلز، وحسب المذكرات، يملك الفرع مزرعة في بالي كريك يديرها الآن، ماثيو بلاك. وكان من المفيد لاهتمامها أن تعرف أن ابن عمهم ماثيو بلاك، ينحدر من سلالة لم تنقطع من الذكور، بينما والدها لم يكن هكذا.. وساورتها فكرة الكتابة له... ولكنها لم تفعل.. إلى أن كسبت بضع مئات من الجنيهات في احدى المسابقات، وكانت متطلبات اليكس ملحة ولا يمكن تجاهلها أكثر، وفقدت عملها لتوها، لتهجم ناظر العمال عليها بقصد التحرش، فسارعت إلى البيت مقسمة أن تسافر إلى اوستراليا في أسرع وقت ممكن.

القرار، بالتأكيد كان وليد لحظة هستيرية. ولكن حتى بعد أن هدأت وامسكت بنفسها.. بقيت الفكرة تروق لها. اهناك أي مانع في أن تحاول تأمين حياة جديدة لالكسندر؟ لكن يجب اولاً أن تتمكن من الوصول إلى منزل ماثيو بلاك. فهو كما عرفت، لا يزال عازباً.. ولو اضطرت، ستتخلى له عن طهارتها، بدلاً من أن تتخلى عنها مع جرذ قذر ممن يلاحقونها

هنا. هذا إذا حصل لها اسوأ ما تتوقع!

المال الذي كسبته، فعل لها الكثير، مع انها وعت أنه لن يدوم لها طويلاً. التغيير في الكسندر بعد بضعة اسابيع بدا واضحاً.. طعام أفضل، تدفئة أكثر.. لكن حتى وهي حذرة، صرفت الكثير، حتى لم يعد معها ثمن تذكرة عودة.

منذ غادرت مطار هيثرو مع اليكس، تمكنت من السيطرة على اضطرابها، ولخمس ساعات متواصلة إلى أن حطت الطائرة من جديد في ميناء سيدني الجوي، بعدها امضت ساعة اخرى لتحصل على سيارة مؤجرة تنطلق بها باتجاه الشمال.. إلى أن اضطرت للخروج عن الطريق العام.. انطلاقها بالسيارة فوق طريق ترابي غير مستقيم، لا مبال واميال، اعاد اليها قلقها، في بعض الأماكن، كانت الطريق الملتوية اصعب بكثير من أن تقود السيارة فيها بسهولة، وفي نقطة ما، حين اضطرت لعبور نهر دون جسر.. غمرتها شكوكها المذعورة.. وعادت إلى وساوسها حول ما يجب ان يفعله اليكس وما لا يجب.

اليكس عادة ولد صبور جداً.. وتحمل ما كانت تردده مرات ومرات بصبر عجيب. ثم دفعها صمته لسؤاله بحدة عما إذا كان قد سمع كلمة مما تقوله.. قال لها بلهجته الطفولية:

- لست مضطرة على اعادة ما تقوليه لي بأن اتصرف كالأبله كاثي، مع أنني لا أذكر جيداً كل ما كنت تقولينه لي منذ ساعات!

- لكن لا تنسى فقط أننا نزور اوستراليا في سياحة عادية..

وتملكتنا رغبة في قضاء بضعة أيام في مزرعة حقيقية وأن كلانا يرغب في التعرف الى ابن عمنا.. ولربما كان هناك أكثر من ابن عم واحد!

تمتم اليكس مكملاً بعبوس:

- واننا يجب أن لا نذكر اننا نعيش في منزل حقير في قبو بناية مهترئة وأن اصحابها يدقون الباب علينا دائماً يطلبون ان نغادرها في اليوم التالي.. وأن..

- اليكس!

وترددت كاثي.. إذن لقد لاحظ هذا، ضمن اشياء أخرى! انه يقارب الآن الثانية عشرة من عمره، وبدأ يلاحظ ما تحاول اخفاءه عنه، سعياً لحمايته من حقائق الحياة الخشنة القاسية، منذ وفاة والدهما.. أي منذ أن انقلب عالمهما، كما بوفاته، رأساً على عقب.

الأمر حدث منذ سنة فقط.. لكنها سنة بدت لها كعشرة. كابوس لسنة كاملة.. فترة سوداء، ليس بالضرورة انها انتهت الآن بالرغم من تخطيطها الواثق المتفائل.. واليأس قد يكون أقرب لهما! وقال اليكس:

- لا زلت لا افهم، إذا كنا حقاً اقرباء لماثيو بلاك، فلماذا لا نخبره بكل شيء؟

- لا يا حبيبي! اترى.. نحن لا نعرف.. اعني أننا لسنا واثقين ما هي ردة فعله. وأنا انوي شرح الأمر له في النهاية فلا تقلق. لكن يجب أن تدرك أن من الأفضل أن نعرفه جيداً كي

نستطيع اختيار الطريقة الأفضل. قد يكون سهلاً وقد لا يكون، والانطباع الأول دائماً مخادع.. كما اننا ليس لنا أي حق عنده.. وقد لا يكون مستعداً للاعتراف بدين عائلته لعائلتنا.. وإذا واجهناه به دون تحفظ قد يرمينا خارج بابه.

- وما يمنعه من هذا حتى بعد أسابيع؟ ثم أنني أحس أنني غير مهتم، ولا أظن انه سيعجبني المقام هنا.. أنها بلاد واسعة، وأتمنى...

عض على شفته وصحت لكن كاثرين التقطت الأسى في عينيه.. فتمنت لو أنها لا زالت تعيش في منزلهم الريفي الهادىء الجميل، مع كل شيء متوفر لها لأفضل ما في الحياة.. صحيح انها لم تكن تعرف قيمة هذا حتى خسرته.. ولولا اليكس لما وصلت الى هنا.

مهما كانت ستقول من كلمات تالية، فقد ضاعت في صيحة اليكس المذعورة:

- كاثي.. انتبهي!

متأخرة جواً، حاولت تجنب وحش ضخم ظهر أمامهما فجأة.. قافزاً نحوهما.. وبذعر رهيب ادارت كاثي المقود خول الحيوان، فاصطدم بأقرب الأبواب له.. وكانت النتيجة رهيبة بانقلاب السيارة إلى جانبها الأيمن، وكأنها قفزت في الهواء.

لم تتورط كاثي من قبل في حادث سيارة، كما انها لم تقد من قبل سيارة ليست لها أو لوالدها، كانت تملك سيارة سبور صغيرة ذهبية اللون كانت تقودها بحذر، وأحياناً بسرعة

معقولة.. ومنذ الأمس كانت تقود هذه السيارة الضخمة بحذر كذلك.. وبالرغم من هذا الحذر حصل هذا الحادث السخيف! لم يكن غلطتها، لكن هذا لن يواسيها، فقد يعني تعقيدات كانت في غنى عنها.

رفعت رأسها المندوخ باضطراب عن المقود... فاحست بألم بسيط في معصمها الأيمن، لكن عدا هذا، وعدا الصدمة، بدا لها انها بخير.. وأدارت رأسها مذعورة تنظر إلى اليكس، وفتحت فمها لتسأل عنه، في اللحظة التي تكلم فيها ضاحكاً:

ـ لا بد أن منظرنا الآن مضحك كاثي.

ثم همس:

ـ هناك دم على وجهك!

راعها أولاً أن ترى وجهه أبيض شاحب بالرغم من محاولته المرح. واطفأت المحرك الذي لا زال يعمل، ونظرت إلى النافذة فوق بابها لتجدها محطمة.. لا بد أن هذا حدث حين اصطدمت البقرة، أو كائناً من يكون، بالسيارة. ولا بد أنهما محظوظان في أن الحادثة لم تكن اسوأ من هذا.

وبدا الرعب على اليكس حين لم ترد عليه، فصاح بصوت أجش:

ـ كاثي.. انت لن تموتي أيضاً.. اليس كذلك؟

نظرت كاثي باندواخ إلى الدم على اصابعها، وحاولت تخفيف الأمر:

ـ انه مجرد خدش كما أظن.. كان بالإمكان أن نصاب كلينا

بأذى حقيقي كيف تشعر؟

ـ أوه.. عظيم! لكن ساقاي متألمتان قليلاً، واظنك كذلك.

ـ اجل، معك حق.. من الأفضل أن أنزل لاتفقد الأضرار في السيارة. لا أظنها تأذت كثيراً، مع انني لا أعرف كيف سنعيدها إلى الطريق.. ليس فوق ذلك المرتفع على أي حال.

بارتباك نزلا معاً من السيارة.. وخاب أمل كاثي ان تجد معصمها لا يتحرك وبدأت تحس بألم فيه.. وابتعد كلاهما عن السيارة يتفحصان الاضرار.. كانت السيارة قد استقرت في اسفل تل رملي صغير، ليس كثير الانخفاض، وهذه الرمال الناعمة هي التي وقتهما من اصطدام أشد بالأرض. لكن، كان واضحاً أن السيارة لن تعود إلى الطريق دون مساعدت آلة ما. فقد كانت مستلقية على نصف جانبها، وكأنه الصندوق الصغير، ولم يكن يظهر أي أثر لتلك البقرة.. الوحش.

وتمتمت كاثي بغيظ:

ـ كم أود لو أقول لصاحب ذلك الحيوان ما أظن به تماماً.. لكن لسوء الحظ لن نستطيع رؤيته. يا للفظاعة! اراهن أن مالكها بغيض أكثر منها!

ـ كاثي!

همسته الملّحة بالكاد لفتت انتباهها. فسارع إلى لكزها. وسرعان ما تحول نظرها إلى الطريق فوقهما، لتجد رجلين على ظهر جواديهما ينظران إليهما. ربما صعدا من الجانب الآخر

للتل الرملي. وغاص قلبها.. فلربما سمعا ما قالته وسيقولانه لرئيسهما.. الذي لا بد أنه الرجل الذي جاءت لتراه.

بعدما بدا لها لحظات طويلة ترجل الرجلان، ونزلا التل لينضما إليهما. وقال الرجل الأطول بينهما، بصوت بطيء عميق.

- هل صادفتما متاعب؟

ردت ساخطة ببرودة:

- إذا كنت تعني السيارة، فبإمكانك رؤيتها بنفسك.. ولولا أن بقرتكم المتوحشة لم تدفعنا من على الطريق.. لكنا بخير تماماً.. ألا تستطيعون ضبط حيواناتكم بشكل أفضل؟ واضح أنكم تتلقون اجراً أكثر من اللازم!

- آسف سيدتي.. ام آنستي؟ فالحيوان المذكور عانى لتوه مذلة السحب من بركة نصف فارغة.. ولو أنها انثى لرصت بحمام الوحل، لكنه ذكر، ويبدا غاضباً.

ضحك اليكس بحبور:

- بامكانك تكرار هذا!

- اهذا شقيقك آنسة؟

- اجل.

- لديك جرح سيء فوق عينك آنسة.

- كنت أتساءل متى ستلاحظ هذا؟

- أوه.. لاحظت على الفور أنكما وسيارتكما في ورطة. لكنني أولاً يجب أن أفهم كيف وصلتما إلى أسفل هذا

المنحدر. وبعيداً اميالاً كثيرة عن أي مكان. هل تتجهان إلى مكان محدد؟

عضت كاثي شفتها لتسيطر على الألم، وقالت بحدة:

- لست مضطرة للشرح لك. ولو سمحت أن تأخذنا إلى رئيسك، والذي افترض انه السيد ماثيو بلاك، سأكون ممتنة لك.

من الرجل الأقصر قامة، صدرت صيحة تعجب، اسكتها الأطول بنظرة حادة:

- ستانلي، يا آنستي، مندهش، لأنه يعرف أن رئيسنا لا يتوقع زواراً.. ليس من أمثالكما على أية حال.

اتسعت عينا كاثرين الرماديتين، حين وافقت بتواضع أكثر هذه المرة:

- لا.. اخشى أن يكون هذا صحيح.. نحن ابناء عم له من انكلترا.. وقررنا لتونا أن نزوره.. وأنا واثقة أنه سيكون مسروراً لرؤيتنا.

ساد صمت لبضعة ثواني، كان الأطول فيهما يفكر.. يبدو أنه رئيس العمال، فهو يقوم بكل الحديث. بعد لحظات من التفرس بها بطريقة اظهرت له بوضوح أنها تشمئز منها، رفع رأسه وحك ذقنه:

- بما أنك واثقة هكذا أن بلاك سيكون مسروراً.. من الأفضل أن أوصلكما إلى المنزل في الحال، وفيما بعد نسحب السيارة. فإذا كنتما ستقيمان هنا، لا داعي للعجلة.. وأنا أظن

www.elromancia.com

أن من الأفضل الإسراع في الاعتناء بك.. الا تظن هذا سنان؟

- اوه.. بالتأكيد.. أي شيء تقوله.

- عظيم اذن.. خذ الصبي، وسأهتم أنا بالآنسة.. ماذا قلت أن اسمك؟

- لم أقل!

من الأفضل إبقاء هذين الغريبين على حدودهما، وستفعل هذا برقة.. والله يعلم أنها، بين من ادعى نفسه صديق لوالدها، قد شاهدت الكثير من فن محاولات السيطرة حتى أنها تعرف على الفور كيف تتعامل معها.

رفعت انفها الدقيق نحوه، وتمتمت بثقة كانت أبعد من أن تشعر بها:

- أظن انني سأنتظر إلى أن أرى رئيسك.. ابن عمي.

- كما تشائين سيدتي.

- ألا يمكنك إرسال سيارة تأخذنا من هنا؟ لو شرحت ما حدث للسيد بلاك، فلا شك أنه سيأتي بنفسه.

- المكان لا يبعد أكثر من أربعة أميال إلى منزلي.. المنزل.. ولا أظن أنني يجب أن اتركك‍ما تحت رحمة حادث آخر، لثور مهتاج.

- أهذا ما كان؟

وصاح اليكس:

- ظننناه بقرة مجنونة. وقالت لي كاثي...

قاطعه الرجل الطويل الأزرق العينين:

- كاثي؟

ابتسم اليكس يشرح له دون تردد:

- كاثي اختصار اسم كاثرين.

قاطعته بسرعة:

- هذا يكفي حبيبي. وأظن من الأفضل أن نفعل ما يقوله هذا الرجل لنا.

ارتفع حاجبا الرجل الطويل في وجهه المغبر:

- اعتقد أنك شاهدت جواد من قبل.. إذا لم تتعرفي إلى ثور؟

تساءلت ما إذا كان يضحك عليها أم لا.. وكانت محقة، فقد بدا عليه أنه يتسلى، ابتسامته كشفت عن أسنان بيضاء لامعة في وجه موحل.. لماذا لا يمسحه؟

لم تنتبه لصعود اليكس خلف الرجل الآخر إلا بعد أن مر قربها فوق الجواد.. ثم، وبشهقة خفيفة، وجدت نفسها ترتفع في الهواء لتستقر أمام الرجل الطويل، الذي أمسك بذراعها ليشدها بحزم، ثم يلق نفس الذراع حولها ويمسك لجام الجواد باليد الأخرى.. وبشكل آلي تشددت أعصابها وأخذ كل جزء منها يصرخ احتجاجاً على قربها منه، وأخذ الرعب المجنون من الرجال الذي تكون عن خبرة داخلها يتصاعد ليعلق في حنجرتها.

ارتجفت وحاولت التوقف عن التفكير بالرجال عموماً، لكنها لم تنجح.. إلى أن اصطدم معصمها المصاب بالسرج

فكادت تصرخ ألماً. لكنها أوقفت نفسها في الوقت المناسب.. وتماسكت بشدة كي تمنع هذا أن يحدث ثانية، ووجهت تفكيرها نحو السيارة المستأجرة. وقالت:

- انك لم تقفل السيارة.. إنها ليست لي.

رد باقتضاب:

- هذا ما اعتقدته كاثرين. والآن من تتصوري أنه سيسرق سيارة محطمة بهذه الحالة وفي مكان كهذا؟

- في أية حالة؟

- الأبواب ملتوية كذلك الإطارات، والنوافذ محطمة.. لم انظر إليها جيداً، لكنني اتصور أن التصليحات ستكلف قليلاً من الدولارات.

تصليحات! وغاص قلبها.. هل هي مسؤولة عن شيء يمكن أن يثبت أنها لم تخطيء فيه؟ صاحت وقد جعلها خوفها متهورة:

- إذا كان هناك ما يجب أن يُدفع... فعلى السيد بلاك الاهتمام به.. إذا كان لا يستطيع السيطرة على حيواناته، فيجب أن يكون مستعداً لدفع الأضرار التي يتسببون بها!

- الثيران.. والنساء.. كاثرين من الصعب السيطرة عليهم، في أفضل الأوقات.. حتى شركات التأمين تأخذ هذا بعين الاعتبار.

- النساء؟ لم أكن أتحدث عن النساء!

- لا.. ولا أنا. كنت فقط أشير إلى أن السيد بلاك قد

يكون له رأي آخر.. على الأقل هو ليس مضطراً لمطاردتهن.

ذهلت كاثي لرده فتمتمت، وفكرت قليلاً، وقد نسيت مؤقتاً مشكلة السيارة. أليس من المذهل ما يكتشفه المرء بصورة غير مباشرة؟ بالطبع كان يمكن لها أن تخمّن صحة ما قاله الرجل لموقفها بأن السيد بلاك رجل متوسط العمر، وأعزب، فمن الظاهر أن بلاك هذا سريع التأثر بفتنة النساء.. أولن يجعل هذا مهمتها أكثر سهولة؟ لكن كيف؟ وامتنعت عن الرد على هذا السؤال، فعلى هذا أن ينتظر إلى أن تلتقيه بالفعل.

أحست بضرورة ملحة أن تعرف المزيد:

- ألا يوجد جيران قريبون هنا؟ أتعني أن السيد بلاك لديه نساء في المزرعة.

اشتدت اصابعه على خصرها الممسكة به، مما استدعى احتجاجها:

- أنت تؤلمني!

- آسف كاثرين.

لكنها احست أنه ليس بآسف! وأضاف:

- لا أريدك أن تقعي، فهذا قد يؤلمك أكثر.

- من غير المحتمل أن أقع.. أمام الطريقة التي تمسكني بها.. أليس كذلك؟

كان عليها أن تفكر بأن الحادثة لا بد المسؤولة عن توترها السخيف هذا. وبالتأكيد لا تريد إفساد الأمور في اللحظة الأخيرة بعد كل هذه المشاق لتصل إلى هنا، بأن لا تكون

www.elromancia.com

متعقلة؟ ويجب أن تتعلم في المستقبل أن تحفظ لسانها من الزلل!

فهذا الرجل على جواده الرائع البني، بأكتافه العريضة، لم يكن يبدو لها من الصنف الذي يثير المشاكل، ربما تتوسل إليه بطريقة ما وقد تنجح لو كانت لطيفة. فقالت بصوت ناعم:

- لا أريد السيد بلاك أن يظن أنني اتطفل على حياته..

وسأكون ممنونة لو لم تذكر شيئاً من حديثنا له.

مهل الجواد بحدة، وتراجع قليلاً لكن الرجل سيطر عليه بهدوء.. فسألته ثانية:

- اسمعت ما كنت أقوله؟

- أجل آنسة، ولن أقول له، فقد يتكدر.

- وهل يتكدر عادة بسهولة؟

- أحياناً كاثرين، يمكن أن يكون مرعباً حين يثور، لكن إذا كنت مجرد زائرة عابرة، فلن ترى منه هذا.

- يا للرجل المسكين.. اظنه أهل للشفقة أكثر من أن يزعجه أحد، فهو على أية حال متوسط العمر ويمكن أنه لم يجد الزوجة المناسبة بعد لتطويع شخصيته قليلاً.

- سيدتي! ألا تظني.. أن من الأفضل.. لو تصمتي؟

إنه الولاء لسيده.. وهذا أمر مثير للإعجاب.

فتمتمت:

- آسفة.

لم يرد بشيء على الفور.. وأخذت تحس ثانية بقساوة صدره الذي تستند إليه، ورائحة الرجولة فيه المختلطة برائحة

الجلد والعرق، باشمئزاز دون أن تدري ما تفعل، رفعت انفها المدبب الصغير، تدير وجهها ذات اليمين وذات اليسار.. بكل وضوح فهم ردة فعلها المشمئزة:

- ستقولين لي الآن أنني لست بالظريف صحبة كما أصدقاؤك في انكلترا.

وشدها متعمداً اليه أكثر.. فتمتمت:

- لا اعتقد أنك قادر على فعل شيء في هذا. فأنت لا بد تعمل جاهداً.. لكن أتوقع أن يكون لديكم تسهيلات للاستحمام.

أحست بالارتباك لمثل هذا الحديث المجنون.. فهذا الرجل يبدو قادراً على جعلها تتحدث كما لا تتذكر نفسها تفوهت بأي شيء مثله في حياتها.. فيه شيء ما، أو شيء ما بينهما، لا تدري أيهما.. وكأن كلاهما يشد على وتر واحد.. لكن من أين تأتيها هذه الانطباعات الساذجة السخيفة؟ وما همها إذا لم يستحم مطلقاً؟

وقال لها وكأنه يتمنى لو يكشف لها المزيد:

- هناك دائماً الجدول.

لحسن الحظ أحست برغبته، فابتلعت اسئلة اخرى مقهورة.. لا بد أنه يملأ ساعة ضجر بالسخرية بها. الريف أمامها، أو ما تستطيع رؤيته منه عبر الغبار المتطايرة. كان بريّاً واسعاً، وربما كان عليهم أن يسيروا مسافات أخرى الألم في ذراعها ورأسها بدأ يشتد.. ولا يزال أمامها أن تواجه مائيو

بلاك.. وأول انطباع له أو لها، يمكن أن يثبت أو يحطم خطتها. لذا يجب أن تحافظ على قوتها، وشجاعتها، بدلاً من أن تضيعها مع أحد موظفيه الساخرين.

رئيس عماله!.. فجأة أحست بأنفاسه الحارة على مؤخرة عنقها. وبيديه تتحركان ببطء فوق خصرها، وكأنه يود لو يستكشف ما تحت، وما فوق. فاحمرت وجنتاها، وتصلبت لاستجابة جسدها مع حركاته بطريقة غريبة غير عادية.. وكأنما أخذ يستمتع بالإحساس الذي يرفضه دماغها، على الفور أقنعت نفسها أنها مجرد بلهاء.. وأنها تتخيل الأشياء.. فهي حتى لا تروق له.. ولقد أوضح هذا منذ البداية.. إضافة إلى هذا، ومهما كانت بائسة، لن تستجيب لمداعبات راعي بقر موحل، مهما كان فاتناً ساحراً!

* * *

- ٢ -

القريب المجهول

كانت الشمس قد اختفت منذ مدة خلف الجبال حين وصلوا المزرعة، التي تقع عند سفح تلة إلى الجنوب من بلدة يارلينغا، في شمالي نيو ساوث ويلز. ووجدت كاثي نفسها مصدومة باستمرار بجمال المناظر حولها في وقت لم تكن تتوقع سوى براري ممتدة لا أثر للأشجار فيها. الريح الشمالية الجافة كانت تصدم وجهها المتأثر وهي تتطلع حولها.

المنزل نفسه، كان شيئاً مدهشاً بالنسبة لها، وسبب لها أن تسحب نفساً حاداً.. فقد كان منفصلاً عن بقية منشآت المزرعة.. مسكن طويل بطابقين.. والأشجار تلتف خلفه وامامه مرجة خضراء كبيرة واسعة، يحيط بها سياج أبيض مثبتة بعواميد تعطي انطباعاً جذاباً.. حتى من الخارج كان المنزل ينطق بالراحة والثراء المؤكد.. ألا يكفيها الآن أن تدرك بأن أباها كان مصيباً في اعتقاده أن ماثيو بلاك رجل موارد قادرة؟

www.elromancia.com

صاحت وكأن رهبة في صوتها:

ـ انه.. انه منزل مثير..

لقد جذبها المنزل بطريقة لم تتصور مطلقاً أن أي شيء سيجذبها بعد منزل والدها في غربتهم في يور تشاير، وجاء صوت الرجل من خلفها كمتطفل غير مرحب به في أحلامها.

ـ وهل أثر عليك؟

ـ اوه.. اجل! لقد.. أعني عشت بالفعل في منزل أكبر من هذا..

ـ طبعاً.. كان يجب أن أضمن هذا.. أنه امر أنت معتادة عليه.

كان اليكس واقفاً قربها ينتظر، وستانلي عاد إلى جواده ينظر متساءلاً نحوهم. وقال له الرجل آمراً بسلطة ظاهرة:

ـ اذهب أنت ستان. سأنضم إليكم لاحقاً.

بعد أن طاع ستانلي قالت كاثي:

ـ لا داعي لكل هذا..؟ انزلني فقط واذهب معه.

ضحك الرجل:

ـ حقاً كاثرين؟ أنت مستعجلة جداً للخلاص مني.. ايعني هذا أنك لا تثقين بي؟

ـ أثق بك؟

ـ أجل.. أنت خائفة أن أكرر كل ما قلتيه لماثيو.

ـ بالطبع لست خائفة.. كم هذا سخيف!

لكن حين يظهر ماثيو بلاك، ماذا ستقول له؟ وماذا سيقول

له هذا الرجل.. لو أن لديها متسعاً من الوقت لتستجمع شجاعتها.. إذ يبدو أن أياً من الكلمات التي حفظتها غيباً غير متوفرة لذاكرتها الآن.. ولا شيء لديها لتقوله عوضاً عنها.

ـ تبدين متصلبة.. فإلى ماذا تسعين أيتها الآنسة.. أتساءل؟

ـ كل ما اسعى إليه أن تنزلني.

أحست بشيء لم تستطع تحديده في اخر كلمات جافة له.. وتابعت:

ـ أود تنظيف نفسي وترتيب مظهري في اسرع وقت ممكن وأن أعتني بأخي كذلك.

رد ساخراً:

ـ قلبك يضرب كطير أسير.. استطيع الإحساس به.. ولا أظنك قادرة على الوقوف إلى قدميك.

تحركت أصابعه ثانية إلى فوق على خصرها.. فتلوت بقلق.. مهما كان ينقص هذا الرجل، فهو لا تنقصه الجرأة مطلقاً! ووجدت وضعها مخيفاً دون أن تدري السبب.. وتبع الرجل خلفها نظرتها نحو أخيها، وبعد لحظات نزل عن السرج ثم مد ذراعيه لها. آهة الألم التي اطلقتها حين أمسك معصمها لم تفته. مع أنه لم يصرح بمعرفته هذا سوى في ضيق عينيه.

من مكان ما، ظهر راعٍ شاب وتلقى الأمر بالعناية بالجواد. وأدركت أن هذا هو سببَ تأخر الرجل بالترجل عن جواده، فهو ينوي أن يدخل معهما إلى المنزل، ولم يستطع ترك الجواد.

www.elromancia.com

وسمعته يقول:

ـ من الأفضل أن أدخل معكما.. استطيع أن أرشدكما إلى حيث تنتظرا ماثيو.. وسأتحقق بنفسي أن يراكما بعد وقت قصير. فمدبرة منزله العجوز تميل إلى الصمم، وقد لا تسمعكما.. ثم إنها ستكون الآن مشغولة بتحضير عشاءه.

دخل الرجل بهما إلى ردهة عريضة وكأنه يعرف تماماً أين يذهب.. على الأرض سجاد سميك والجدران مكسوة بالخشب المصقول اللماع.. مدفئة إلى الجدار مليئة بالحطب، وكأنما استعداداً للشتاء.. لوحة لرجل تنظر إليهم من فوق.. فحدقت كاثي بها بذهول.. فهذه، إذا لم يكن أي شيء آخر، قد اقنعتها، أنها وصلت أخيراً إلى حيث تقصد!

توقف الرجل عند باب مفتوح في منتصف الردهة تقريباً، وقال:

ـ لو تتفضلان بالراحة هنا.. ستكونان مرتاحين تماماً.

ـ شكراً لك.

وتساءلت، كيف يجرؤ على التجول هكذا والوحل يقطر منه مدبرة المنزل المسكينة لن تشكره مطلقاً على هذا! مع ذلك أحست بذعر لا مبرر له حين استدار ليذهب، فكررت:

ـ شكراً لك، على ما فعلته لنا!

كانت تأمل على الأقل ببسمة ترحيب، لكن عضلة واحدة في وجهه لم تتحرك.

حسناً.. هزت كاثي كتفيها وهي تستدير بدورها، ربما من

حقه أن يتجهم، فهي لم تكن لبقة معه، ولا بد أنه من النوع الذي يحمل الضغينة.. ومن الأفضل كثيراً أن تنسى أمره.

صاحت فور أن خرج الرجل واقفل الباب وراءه:

ـ تعال اليكس.. دعني أرى إذا كنت قادرة على ترتيبك قليلاً..

من المهم الآن أن يتقبل وجودنا. فلم يعد لدينا سيارة، وواضح أن لا وسيلة نقل عامة هنا! ويجب أن نفعل ما بوسعنا لاعطاء انطباع جيد حبيبي.

لكن اليكس لم يكن يركز على ما تفعله اخته له، فسألها:

ـ الم يبدوا لك هذين الرجلين غريبين في الوحل الذي يغطيهما؟ عجباً، كيف يبدوان تحت هذا الوحل؟

ـ رجلان عاديان، حقاً.. لكن ليس عاديان كما سنبدو إذا لم نرتب نفسنا قبل وصول بلاك.. ها أنت.. الأفضل أن تستعمل مشطي، فمشطك لا يزال في حقيبتك.

بينما تنتظر ان ينتهي اليكس من تمشيط شعره لتفعل مثله ركزت اهتمامها على الغرفة، كان لها حجم متوسط مريح، كما قال الرجل، مقاعدها عميقة بذراعين، سجادها سميك، وفيها مدفأة حطب عند طرفها، تشتعل، على أحد الجدران مرآة، فتقدمت إليها لتلقي نظرة على نفسها.. كان وجهها شديد البياض، مليء بالدم من جرحها، المغطى بمنديل قطني كبير ربطته حول رأسها، فانتزعته، لكن الدبابيس المثبتة له كانت صعبة الانتزاع بيد واحدة، مع ذلك فقد نجحت آخر الأمر..

Mohamedromancia.com

ارتباطها من الرباط المشدود، كان يستاهل العناء.

أخرجت من حقيبتها منديلاً نظيفاً، نادمة على علبة المناديل الورقية التي تركتها في السيارة.. بصمت حاولت إزالة الدم المتجمد عن الجرح.. ليتها تحصل على وعاء فيه ماء! أخيراً استسلمت، وركزت على ترتيب شعرها.. تنهيدة ارتياح حلّت جديلته، وأخذت المشط من اليكس لتمرره بالشعر العسلي اللون إلى ان انسدل كشلال كثيف لماع، فوق كتفيها.

صحيح أنها لم تكتفِ بهذا، لكن عليها أن ترضى.. فشعرها، إذا ابقت رأسها إلى الأمام، سيغطي خدها وعنقها، ويخفي الشحوب في وجهها. مع أن الألم في رأسها كان أقل بكثير من ألم معصمها.. وسألها اليكس فجأة:

- كيف تشعرين الآن؟ نحن زوج من الحمقى، فعلاً. لقد وصلنا إلى دار بلاك مغطيين بالكدمات والدم. ولا عجب أن نظر إلينا الرجلان كما فعلا!

- أراهن أن السيد بلاك، لن يكون مسروراً لرؤيتنا هكذا!

قبل أن تكمل، ترددت، اليكس لم يعد طفلاً صغيراً، كي يقتنع بكلمات بسيطة.. واكتفت بتأكيد كلامه:

- . . . ربما أنت على حق.

وصمتا معاً، وكأنما لا يجدان ما يقولانه بعد.. فتقدما إلى النافذة العريضة لينظرا إلى الخارج.. يبدو أن هذه الغرفة هي في مؤخرة المنزل، تواجه حرج اشجار لاحظت وجودها حين وصلت، من جانب تلك الأشجار لمحت من بعيد قمم جبال

نيوانغلند بصخورها العملاقة الشديدة الانحدار نحو السهل.. زرقة السماء على قممها يكسره بياض الثلوج، حتى في مثل هذا الوقت من السنة.. تحتها مباشرة اللون الأخضر القاتم للغابات وغياض أشجار الحور المتأرجحة..

مع أن مثل هذه المناظر قد تنسيها المها قليلاً، إلا أن التفكير بحمام ساخن وفراش، استولى عليها تماماً.. لكن كل ما تستطيع هو غسل سريع لأيديهما ووجهيهما.. حتى قبل أن تقابل ماثيو بلاك، بدأ الموقف يسوء.

وقفا معاً، ذراعها على كتف أخيها، صامتين تماماً، حتى أن وقع أقدام متقدمة نحوهما لم تفاجئهما. وما هي إلا لحظات حتى انفتح الباب الذي تركزت عليه عيونهما بارتباك.. ودخل ماثيو بلاك.

حملقت كاثي به وهو يغلق الباب بهدوء خلفه، ثم تقدم نحوهما. كان طويلاً ضخماً، لكنها لم تعِ سوى عينيه الشديدتي الزرقة تحت حاجبين سوداوين، وابتسامة خفيفة لكن مألوفة بطريقة ما. إنه يشبه الصورة في الردهة، والصورة التي معها كذلك.. وكأنها تنظر إلى شيء لا حياة فيه ينبعث حياً.. مع أنها لا تظن أن هذا الرجل بوجهه الأسمر المتجهم سيرحب بمثل هذا التشابه. لا شك أنه ماثيو بلاك، الممتبد حتى أطراف اصابعه الفولاذية.. ولم تريحها فكرة أنه رجل لن ينخدع بسهولة، خاصة أنها مضطرة لخداعه..

سنه؟.. فجأة ادركت أن شخصاً ما، في مكان ما، أساء

الحكم. إنه في الثلاثينات، وقد لا يزيد عن الخامسة والثلاثين.. لكنه بكل تأكيد أبعد بكثير عن أواسط العمر!

طال الصمت.. وكأنما وجد الرجل، أن اللوحة التي تحتلها واخيها أمام النافذة، مثيرة للاهتمام.. ثم قال أخيراً ببرود:

- اعتقد أنكما تودان رؤيتي.. ألن تجلسا؟

ذراع كاثي، فوق كتف أخيها، جرته معها كي يبقى إلى جانبها.. لديها إحساس غريب أنها التقت بماثيو بلاك في مكان ما، ولا يمكن أن يكون خلال لوحة.. أم لأن صوته يشبه بطريقة خفية صوت ذلك الرجل الذي انقذهما؟ وتمتمت.

- شكراً لك!

ابتسم ابتسامة ساحرة منتظراً إلى أن جلست واستقامت:

- اسمي، كما لا بد عرفت، بلاك.. ماثيو بلاك.. لكنني بالنسبة لكما في ظلام كامل. قيل لي أنكما تدعيان بأنكما ابنا عم لي.

أحست بالامتعاض، فهي بحاجة لمن يتعاطف معها، وهذا أمر واضح أنه بعيد المنال، واجبرت نفسها على القول بهدوء:

- آسفة، إذا بدوت أنني افتقد الكلام، ما من شك أن رجلك شرح لك أن حادثاً مؤسفاً واجهنا، وشتت قوانا قليلاً.. أنت حق ابن عمنا.. لكن أخشى أنني دفعت لاعتقد أنك أكبر سناً.

- هكذا إذن! وهل لي أن أسأل عن سبب تفتيشكما عني؟

يبدو أنكما تعرفان عني أكثر مما أعرف عنكما.. في الواقع.. سأكون صريحاً تماماً معكما، وأقول إنني لم أعرف مطلقاً بوجودكما.. ولا أعرف حتى اسميكما.

ابتلعت كاثرين ريقها بصعوبة، ملاحظته هذه كانت مذهلة مربكة، لسبب تجهله.. لو كان لديها الوقت الكافي لكانت تأكدت من أنه سيستقبلهما بأية طريقة ممكنة!

اليكس، كعادته، أحس أن من واجبه التعويض عما فات شقيقته أن تفعل.. فقال بوقار:

- انا اليكسندر هايلاند، سيدي. وهذه شقيقتي كاثرين.

رد بلاك بوقار مماثل:

وكيف حالك.

وهز يد اليكس، لكن دون محاولة مد يده لمصافحة كاثي. مما يدل بشكل صارخ أنه يشك في روايتها حتى قبل أن تبدأ بسردها. فسارعت لتقول بفظاظة:

- قد لا تصدقني سيد بلاك.. ماثيو.. لكننا بالفعل ابناء عم وقررنا أن نزورك.

تسللت السخرية إلى صوته الحازم.

- ربما تفضلت بالشرح؟ وقد أضيف انني لم اسمع من قبل باسم هايلاند، مع أنني اعرف قليلاً عن تاريخ أسرتي.

فتحت شفتيها المرتجفتان وقالت بلهفة:

- لديّ رسالة من المحامي يؤكد هذه الصلة. لديه كل الوقائع. والدي كلّف باحثاً شهيراً في اصول العائلات،

مكتشفاته إضافة إلى معلومات والدي تؤكد هذا.

ارتفع حاجباه مجوداً:

ـ حقاً آنسة هايلاند. يبدو أنك ذهبت إلى حدود بعيدة! لماذا؟

هذا الرجل يعيد جواً عن ذلك الذي تصورته.. إنه قاسٍ جداً.. وشاب جداً..! ودون وعي تلفظت بآخر كلمتين بصوت مرتفع.. فسألها بسرعة:

ـ من.. تقصدين؟

ـ آسفة.. كنت أتصور أنك أكبر سناً، وأن زيارتنا لك ستكون لطفاً منا.

ـ حقاً..! اخشىَ أن تكون حجتك أفضل من هذا.

ـ انها مجرد فكرة.. والدي هو من بدأ هذا. لهواية لديه. وإلا لما عرفنا بالمرة.

ـ إذن.. فكرتما أن تمضيا هنا ليلة أو اثنتين؟

ـ اجل.. شيء من هذا.

ـ شيء من هذا؟

اخفضت كاثي عينيها وتمتمت:

ـ اوه.. ربما أسبوع.

وبدا أنه يفكر بكلامها، أو أنه يبحث عن اسبابها الحقيقية.. الإقامة هنا، في هذا المسكن الكبير، قد لا يغير رجلاً مثله، لكن هذا له أمر آخر!

ـ اتتصور أنني استمتع بالتوسل إليك؟ لولا ثورك الغبي..

لما همني كثيراً.. لكن لو رأيت كيف حطم سيارتنا، لادركت أننا لن نستطيع المغادرة حالاً.. لا بد أن أقرب مكان من هنا يبعد مسيرة يوم!

هز رأسه بنعومة، وعيناه تنظران إلى خديها المحمرين. فجأة.. بدا مذعناً. وكأن نقمتها خدعته بالرغم عنه.

ـ بلدة، ومن أي حجم، قد لا تكون ملائمة.. لكنني افهم مشكلتكما الحالية، واعتقد أنني مسؤول جزئياً عنها.. لكنني قد لا أقلق كثيراً على السيارة لو كنت مكانك. بعض رجالي يأتون بها الآن إلى هنا، واعتقد أنها مؤمنة.

هل هذا نوع من التنازل، أو المواساة؟ إنه أمر آخر زادها حيرة.. السيارة يجب أن تصلح.. فكيف ستفعل هذا؟ وتابع ماثيو بلاك كلامه:

ـ اقترح أن نؤجل النقاش إلى أن ينام الكسندر، ففي مثل سنه كثرة الكلام مضجر له.

اذن، فهو يطلب منهما البقاء، أو أنه يعطيهما الإذن للبقاء.. وهذا ليس الأمر عينه! وشحب وجهها بتوتر لا يحتمل، واتسعت عينيها، ليسوّد البؤبؤان لنظرته المتفحصة الباردة إليها. وعاجزة وجدت نفسها توافق على أن اليكس متعب بالفعل ومن الأفضل أن ينام.

دق ماثيو جرساً على الجدار. دون شك ليستدعي أحد الخدم.. ربما منزله غير مستعد لاستقبال زوار. وقبل أن تسأله تقدم نحوها ونظر متفرساً إلى وجهها ثانية:

www.liromancia.com

- هذا الجرح فوق عينيك، أيؤلمك كثيراً؟

ذلك القرب من عينيه الزرقاوين كان وكأنه اقتراب لبحر أزرق في منتصف الليل.. وأجابت بضعف:

- لا.. إنه يخزني.. لكنه لا يؤلم حقاً.

- سأنظفه لك حين تنزلين للعشاء.

وانفتح الباب لتدخل امرأة مسنة، قدمها على إنها مدبرة المنزل.

- السيدة جبسن ستريكما غرفتيكما.. وستأتي إليكما بصينية شاي أظن هذا أفضل من أن تشربيه فيما بعد.

وقفت السيدة جبسن خارج غرفة نوم محددة وقالت:

- سأضع أخيك في الغرفة المجاورة.. والحمام في آخر الممر.

وتركت كائي مبتعدة مع اليكس.. لو أن السيدة جبسن عجوز وباتّة في كلامها، فقد عرفت واحدة مثلها في منزلهما في يوركشاير. انهن النساء عملن بكد طوال حياتهن، ويرفضن التوقف عن العمل.. وولائهن للعائلة التي يعملن لها نوع من الأسطورة.. فهل هذه هي الحال هنا؟ وهل عليها أن تقاتل هذه المرأة اضافة إلى ذلك الرجل؟

غرفة اليكس كانت كغرفتها تماماً وهمس:

- إنها أفضل من تلك التي في لندن.

- الم أقل لك هذا؟ اسمع حبيبي.. من الأفضل أن تستحم انت أولاً. وسأنتظرك.. ربما وصلت الحقائب.

تردد اليكس قليلاً:

- فيما بعد كائي.. اتظنين أن السيد بلاك سيمانع لو أنام فوراً. فأنا متعب.

- بالطبع.. ربما اطلب لك شيئاً خفيفاً تأكله.. أنا واثقة أنه سيعذرك على الأقل هذه المرة.

كان اليكس في الفراش حين وصلت حقائبهما، وحين عادت من الحمام، كانت ممتنة لوجود الشاي الذي وعد به ماثيو بلاك، فحملت الصينية مع وعاء من الفاكهة إلى غرفة اليكس حين تركته كان نصف نائم، وأغلقت الباب بهدوء.

ارتجاف حاد، كاهتزاز مطفطف، صدم كائرين، ليزيد من الألم في رسغها.. فقد أدركت الآن لماذا لا تستطيع التفكير بهذا الرجل كغريب.. إنه صورة حية عن ذلك «البلاك» المرسومة صورته بدقة والمعلقة في مكتبة أبيها منذ زمن طويل.. حتى أن جورج هايلاند نفسه لا يعرف من أين أتت هذه الصورة.. أكثر من أنها كانت مخزونة مع أشياء كثيرة قديمة في قبو جده وجدت بعد أن مات. ولا يعرف سوى أنها لأحد أجداده الاسكتلنديين..

لكن الأمر الآن مهم بالنسبة لها، وبطريقة لم تستطع توضيحها، حتى في تلك الأوقات، كانت تجد ذلك الوجه المحدق بكبرياء وفخر إلى ما وراء رأسها بعينيه الزرقاوين الفاتحتين، ساحراً فاتناً بشكل غريب.. وفي سنوات تالية أعطيت الفرصة لتأمله جيداً. تمضي وقتاً طويلاً في المكتبة

تحدق فيه، ومع السنين أصبحت مفتونة بقوة وقساوة تلك القسمات، والوضعية المتعجرفة للرأس.. وبدأت تحييك احلاماً حوله حتى وهي تحاول جاهدة أن تكون متعقلة، مدركة أن من الغباء أن تفتن بمن ليس حياً.. وهذا قد يدفع الناس للسخرية منها.

كانت اللوحة هي الشيء الوحيد الذي احتفظت به من اغراض أبيها، أكانت تساوي خمسة جنيهات أو خمسة آلاف.. ولم تخبر أحداً عنها، وما صدمها بشدة، أنها شاهدت نسخة طبق الأصل عنها في الردهة في هذا المنزل، لكنها لم تكن ساحرة كالتي معها، كما لم تكن صدمتها مدمرة حين التقت بماثيو بلاك.

رؤيته، كانت كمن يرى شخصاً يخرج الجدار من الجوار من قلب لوحة، لوحة، اصبحت متعلقة بها، ولو دون تعقل.. وعليها الآن أن تفعل «بلاك» الحي هذا، وبين ذلك الذي في أحلامها.. لكن.. كيف ستتمكن من هذا، وهو يبدو لها صورة اقسى، وأكثر قوة من ذلك الذي في الصورة!

شكها الخائف من أنها في الغد قد تكون في طريق العودة من حيث أتت، قوّى قناعتها المرتبكة، بأن عليها فعل أي شيء لاقناع ماثيو بلاك.. فسارعت لوضع القليل من كل شيء يلزمها على وجهها، ثم رتبت شعرها بعناية، ونزلت إلى الطابق الأسفل بعد أن اطلت على اليكس النائم.

ماثيو بلاك، كان يقف في الردهة حين نزلت، وادهشها

وجوده هناك. وقد يكون مهذباً للضيوف غير المتوقع حضورهم، حتى لمن يدعي أنه ابن عمه، لكنها لم تكن تعتقد أنه سيكشف هذا عما في نفسه. وعضت على شفتها وهي تلاحظ طريقة نظره إليها وهي تتقدم، واصفرّ وجهها شحوباً:

- كنت أنتظرك فقط لأريك غرفة الجلوس، بينما تضع السيدة جبسن اللمسات الأخيرة على العشاء.. بالتأكيد لست مرعباً إلى درجة أن تشحبي لرؤيتي آنسة هايلاند؟

- لم أعرف أني شحبت مات.

ابتسم وهو يسير نحوها دون أن يزحزح نظره عنها.

- مهما كان.. غرضك.. فأنت لا تكذبين بسهولة عزيزتي.. دعيني أرى يدك، فحين لمست حاجز السلم، أجفلت ألماً. كان بالإمكان أذية نفسك أكثر مما تتصوري بتدهور السيارة عن ريس.

سحبت يدها إلى الوراء:

- لا.

- أليس تصرف الأولاد أن تخبئي يدك خلف ظهرك؟

- قلت لك إنني بخير!

- دعيني أكون الحكم على هذا.

اشاحت بنظرها عنه يائسة:

- لديك منزل جميل.

- كاثرين!

استسلمت ساخطة:

ـ كما تشاء.

لم تنظر إلى يدها وهي تمدها على مضض.. نظراتها كانت متركزة على وجهه.. وعادها ذلك الاحساس الغريب بالألفة.. وكأنها تعرفه منذ زمن طويل. تباً لتلك اللوحة! بلاك هذا حي ويتنفس.. وهو أكثر بكثير من مجرد لوحة على الجدار!

أمسك بمعصمها في مكان محدد، فاجفلت من الألم متأوهة.

ـ هذا ما ظننته! لماذا لم تذكري هذا لي!

ـ لم أكن أظن.. ولا زلت لا أظن أن هناك ما يوجب القلق.. ربما التوت، وأتصور أنها ستشفى مع الصباح.

ـ من الأفضل أن اربطها لك، قبل أن يغمى عليك.. وفي الصباح سأعرضك على طبيب، إذا وجدت هذا ضرورياً.

ـ أوه.. لا!

بذعر، ونبضاتها تنتفض في عنقها، حاولت جذب يدها منه.. فالطبيب هنا قد يكلفها الكثير، ولا تملك هذا القدر من المال.. حتى بالكاد تملك شيئاً!

ـ ولَمَ لا؟ لن يكون المبلغ كبيراً إذا كنت تفكيرين بالمال.. على أي حال، لا بد أنك مؤمنة ضد الحوادث.

ـ اتعني.. السيارة؟

ـ لا.. اعني أنت، مؤمنة طبياً.

ـ إذا وضعت لي رباطاً عليها، فأنا واثقة أنها ستشفى.

اطبقت اسنانه البيضاء معاً.. لكنه لم يتابع المسألة.. بل أخذ ذراعها الأخرى وقادها إلى آخر الردهة:

ـ لن يأخذ هذا أكثر من دقيقة. ومن الأفضل أن أقول للسيدة جبسن أن تهتم بأخيك حين ينزل، وإلا سيتساءل أين ذهبنا.

ـ أخشى أنه قد نام.. كان متعباً.. ولقد رأيت بنفسك أنه ليس قوياً بما يكفي.

رد عليها دون تعاطف:

ـ أو ربما تدللينه أكثر من اللازم. الشقيقات والأمهات دائماً هكذا.

كانت كاثي تفكر بطريقة مؤدبة تساءله فيها عن أمه.. حين أضاف بشكل قاطع:

ـ من الأفضل أنه نام مبكراً.. فكما قلت لك سابقاً.. أنت وأنا لدينا الكثير من الحديث معاً.

* * *

- ٣ -

الأصل.. والصورة

سأل ماثيو بلاك، قبل أن يخطوا خطوات كثيرة:

- كم عمر أخيك كاثرين؟

- إنه يقارب الثانية عشرة.. وأنا في العشرين.. ومعظم الناس يدعوني كاثي. إنه اسرع للفظ.

- أنا لست مستعجلاً بالنسبة لك. يبدو لي أن لدي ضيفان غير مدعوان، أحدهما لا يزال في المدرسة والأخرى، خرجت منها لتوها. أتعجبين لو أنني لم أستعجل؟

ضيفان..؟ اذن إنه غير مستعد بعد للقبول بالصلة؟ بصمت رافقته إلى غرفة صغيرة بيضاء لا نائبة فيها، وكأنه عيادة طبية تحتوي على خزانة طبية كبيرة، ضمن أشياء أخرى.

- اجلسي إلى الطاولة بينما أجد الرباط الملائم.

وبثبات تفحص معصمها مجدداً قبل أن يربطه.

- كنت أعتقد أنك لويته بشكل سيىء، لكن هذا الرباط

سيعطيك بعض الراحة. على الأقل سيريحك من الألم، لا تحركيه إلا في حالات اضطرارية ليوم أو يومين.. وهذا قد يعني أن عليك تأخير مغادرتك. لكن يومين آخرين لن يضراني بشيء.

إنه رجل لا يتردد مطلقاً في قول ما في ذهنه، دون أي مراعاة لمشاعر فتاة!

- شكراً لك.

لم يتحدث كثيراً خلال العشاء.. ووجدت كاثي نفسها، بعد أن ارتاح ألم معصمها قليلاً، تتمتع بمباهج الفضة اللامعة والكريستال اللذين كادت تنساهما. أواني البورسلان كان من أجود الأصناف.. كل ما حولها في غرفة الطعام يذكرها بألم بمنزلهما الريفي قبل الانهيار.

دون وعي انها قد أثارت بعض الشكوك حولها، تابعت تحلم.. الرباط والحبوب التي أعطاها لها ماثيو، اراحاها من الألم تقريباً.. وتمكنت من تناول طعامها بيد واحدة.. وابتسمت لمضيفها بحلاوة.. فهو على كل الأحوال رجل. ولقد تعلمت، ولو بألم، خلال السنة الفائتة، أن الرجال يتأثرون جداً ببسمتها.

سألها، بالكاد يزيح عينيه عن وجهها:

- أتحسين أفضل حالاً الآن؟

لو كانت ضائعة في حلم وردي، فقد اعادها صوته الأجش إلى واقعها، وتسمرت عيناها عليه، لكنها لم تستطع قراءة شيء في عمقها وتمتمت:

- اجل.. شكراً لك.

- انهي الحلوى التى أمامك كاثرين، ستتناول القهوة في غرفة الجلوس.. لقد مر عليك يوم مرهق.. وقد تضطرين إلى تحمل دقائق طويلة مرهقة أخرى.. لكن هذا يتوقف على ما في رأسك وما في رأسه.. وهذا أكثر احتمالاً! واخفضت نظرها بجهد وهي تكبح رد الأذى. كم من المذلّ لها أن تتذكر أنها ليست في وضع تستطيع فيه فعل شيء سوى الزحف! كلمة مخطئة واحدة منها وتنهار كل خططها! مع ذلك لم يكن لديها خطة ايجابية كيف يمكن أن تنفذ تلك الخطط.. ربما عليها هذا المساء أن تركز على أول مرحلة للحصول على موافقته.

غرفة الجلوس، امام بهجتها، كانت أجمل بكثير من غرفة الطعام. غرفة كبيرة، فيها سجاد مناسب ومقاعد منخفضة مريحة.. نسيم خفيف، دافيء، يتسلل من النوافذ المفتوحة، يجذب معه، رائحة خفيفة لشيء لم تستطع وضع اسم له. مهما كان اسمه، فهو لذيذ حلو ولهٍ تأثير غريب على الأحاسيس.. لكنها دائماً معروفة بالحساسية للعطور العابقة في الهواء.

بسرعة استدارت على النوافذ الساحرة لتجلس، ودون وعي منها، اجلست كتفيها مستقيمة، وكأنها تستعد لمواجهة ما.. ادخلت السيدة جبسن القهوة، وطلب ماثيو من كاثرين أن تصبها، ليعطي نفسه المبادرة في الكلام:

- قلت أن لديك البرهان أننا ابناء عم؟ وأجد الأمر غريباً.. إذا لم يكن صعب التصديق..

صوته العميق الحاد فجأة، ولد فيها الخوف، فارتجف ابريق القهوة في يدها، وكاد السائل الملتهب ينسكب فوق يدها.. فصاح بها ببرود:

- احذري! قد يظن المرء أنك أنتِ بنفسك غير مقتنعة!

- اوه.. بلى.. انا مقتنعة! وقلت لك من قبل لدى كل البراهين التي يمكن أن تسأل عنها. ولدي كذلك لوحة.

- لوحة؟

- إنها نسخة طبق الأصل عن الصورة المعلقة في ردهتك!

صمت لحظات يترك لها المجال للتمتع بنصر مؤقت، ثم:

- وأين هي؟ اعتقد أنك نسيت أن تأتي بها معك.. هل تركتها في موطنك؟

كلماته كانت توحي أنها فتاة ساقطة تدبر المكائد:

- إنك..

وصمتت مرتعدة.. فقد كانت على وشك أن تقول: لا تطاق! فقال ببرود:

- لماذا لا.. تقوليها؟ في الواقع هذا يؤثر بي كاثرين.. الطريقة التي تتراجعين فيها دائماً. ولن أكون في نصف ريبتي بك لو أنك تتركين نفسك على سجيتها.

وكيف تقدر على هذا؟ تتمنى لو تجرؤ.. لكنها لا تستطيع! وصاحت به:

- لدي صورة.. إنها معي هنا... سأصعد إلى غرفتي وأجيء بها. لو تنتظر قليلاً!

- وهذا ما سأفعل.. الأمر يزداد فتنة مع مرور الدقائق.. ربما احاسيسي الكليلة تحتاج إلى ما يحركها.

مهما كان يعني بهذا، فهي لم تتوقف لتسأل.. فتركته بسرعة قدماها لا تكادان تلامسان السجاد وهي تركض إلى فوق.. لتعود مقطوعة النفس بما تعتقد أنه البرهان القاطع على هويتها. كانت تضم الصورة إلى صدرها، وكأنها تخاف أن ينتزعها أحد منها.

- دعيني أراها.

كلماته كانت الآن لطيفة وهو يقف على قدميه، ويأخذها من يدها المترددة:

- كن حذراً.. ارجوك!

للحظات بدا أنه لم يسمعها، فقط التقى حاجباه الكثيفان فوق عينين كحليتين في تقطيبة دهشة وتركيز.. وأحست كأني بكرب مفاجيء ليس له علاقة بما يجري الآن. لكن، لماذا تحس بهذا العذاب لمجرد نظرته إلى الصورة.. وشهقت دون أن تستطيع منع نفسها، وكأنه ينتهك حرمة شيء مقدس لديها:

- ارجوك.. اعدها لي.

لم يرد فوراً.. بل حدق بوجهها الصغير المليء بالإثارة:

- لا تقلقي.. فلن أدمر لك برهانك الذي لا يضحد. إذا كنت هذا ما تخافين منه.. حتى أنها لنفس الفنان.. لا بد أنه رسم أثنتين منها.. ولا داعي للقول، انني متأثر جداً.

- سجلاتي تقول أن هناك اثنتين.. واحدة لأسلافنا ليأتوا بها

إلى هنا.. ولا بد أن من جاء بها اعتنى بها جيداً.

ابتسم:

- أجل.. لا بد أنه كان رجلاً له غروره.. واعتقد أنني اشابهه.. أكان لقاءك به شخصياً مخيباً للأمل..؟ واضح أنك تنتظرين إلى صاحب الصورة بتقديس!

- لا...! فأنا أحب الصورة ولا سبب لي أن لا اعجب بك.

- ارجو هذا.. بضعة ضربات طائشة، قد تفسد صورة.. لكنها بالتأكيد لا تؤثر عليّ!

ارتجفت كلامته، تحس أن الأرض تحيد تحت قدميها.. ولأول مرة منذ دخولها هذا المنزل أحست بالخوف الحقيقي يتحرك داخلها.. فنظرت إلى الصورة بتعلق ظاهر، جعل بلاك يبتسم ساخراً:

- كم أن مشاعرك ضائعة! لماذا لا تحولين بعضها إلى من يقدرها أكثر؟ جدي كان يقول أنني اشبه أول المهاجرين من عائلة بلاك أكثر مما اعي.

احمّر وجهها، وقالت بحذر:

- استطيع رؤية كم تشبهه.

- يقال انني احمل شيئاً من شخصيته القاسية.. لكن هذا ما عليك الحكم عليه بنفسك. اتركيها معي، فقط يوم قريب لتقرير ما سنفعل بها.

صوته كان مليئاً بالكلمات التي لم تقل من شخصيته

الفذة.. والتحذيرات التي جعلتها فجأة مترددة، غير واثقة أن لها دوراً تلعبه في كل هذا. وقد يكون دور لا يشمل مقاتلته..

وتمتمت:

- طبعاً..

- ابنة العم الملاك.. لا تستطيع الفراق عنها بعد كل هذ الوقت: اعتقد أن من المستحيل الآن أن نحدد شيئاً.. لكن إذا كان الأمر يسعدك.. سندع البحث فيها الآن.

- ابقي هذا.. ان بإمكاننا البقاء.. مدة أطول؟

- إذا احببت هذا.

- سأكون ممتنة.

- صحيح؟ انت فتاة جذابة جداً كاثرين.. وقد أكون مستعداً لأية صلة تهتمين بتحديدها..

سطحياً، يبدو كلامه مناسباً جداً.. بل أكثر من مناسب.. لكن هل تستطيع تحمل تفحص كل رنة سخرية في صوته؟ تعاونه قد يكون قصير العمر، لو حاولت جعل اقامتهما هنا دائمة.. وحين فكرت بأليكس صممت أكثر على قرارها.

وسألها يقاطع أفكارها:

- جئتما بالطائرة؟

- اجل.

- متى وصلتما إلى هنا.

- منذ فترة.

ولم يكن هذا لأكثر من يومين، لكنهما بديا لها كعدة

سنوات!

- اين كنتما غير هذه المقاطعة؟

- اوه.. نتجول.

التمعت عيناه ريبة، أم انها مرح، لا تدري:

- انت لست متعاونة كثيراً.

فابتسمت بسحر:

- آسفة إذا كنت لا استطيع تسليتك، لكنني أحس بالتعب.. ويجب أن أعترف أن الرحلة كانت أكثر قسوة مما توقعت.

وهذا لم يكن سوى الحقيقة. فوافق على كلامها:

- ليست من السهل عادة أن يجد المرء طريقه في السيارة لوحده. كان الأفضل لك لو سافرت في القطار.. ففي استراليا شبكة قطارات عظيمة التأثير.

وتذكرت:

- تلك السيارة؟ هل ستكلفني غالياً؟

- وهل سألت أحد؟

- لم أكن أتوقع أن اعطيها.

- سأطلب من ميكانيكي أن يتحفصها في الغد. فإذا استطاع اصلاحها فمن الأفضل اعادتها إلى الشركة التي استأجرتها منها.. لهم عادة فروع في كل مكان.

تمتمت متسائلة لماذا استأجرت سيارة أصلاً:

- أجل..

www.elromancia.com

من أين ستجد المال لتسوية وضعها.. لا بد أن هذا سيأخذ منها آخر قرش معها.. ثم هزت كتفيها بتعاسة:

- هناك أشياء كثيرة لم أفكر بها.. أظن أن التوتر في محاولة إيجاد طريقي واليكس لأعتني به..

- وهل هو مسؤوليتك؟

- نحن يتيمان.

مع أنه لم يتلفظ بتعزية فورية لكنه تلقى الخبر كما أملت تماماً.

- اذن، فهذه الرحلة هي لمساعدته في التغلب على هذه الخسارة؟

- بطريقة ما.

ولاحظت أن تعابيره تلطفت قليلاً، وهو يقول:

- اظن الأمر صعب عليك قليلاً.. أليس كذلك؟ ولد كاليكس يحتاج إلى يد رجل.

ثارت أحاسيسها الحامية لأخيها:

- اوه.. لا..! اعترافك لحق جزئياً.. لكنه ليس قوياً كما يجب.

- يحتاج إلى كثير من العطف والتفاهم.

- هذه وجهة نظر امرأة.. فالكثير من هذا قد يعوق نموّه.

- انت لن تفهم، لأنك لا تحتاج إليها.

إنه رجل، متعجرف، وكل الأمان الذي يحتاجه ملك له. لكنه قال بخبث:

- أنا لم أدلل أبداً كاثرين.. إذا كان هذا قصدك. وحتى الآن، إلا إذاكنت تنوين رعايتي أيضاً؟

حدقت به مرتبكة، تتذكر شيئاً ازعجها طوال الأمسية.

- آسفة.. كان يجب أن اسأل إذا كنت متزوجاً.. أم تعيش لوحدك؟

المعلومات التي استقتها أن لا زوجة له، لكنها لن تستطيع الاعتراف له كم انها فتشت في خصوصياته.. وبالطبع يمكن لمعلوماتها أن تكون خاطئة.

- أظن أنني سمعتك تذكرين هذا من قبل.

- لا.. لا أظن هذا.

- لدي زوجة أب وشقيقة منها. كلتاهما غائبتان الآن.. فهما متعلقتان بحياة المدينة أكثر من البراري المفتوحة.. أحياناً تشرفاني بزيارة. لكن لا.. ليس لدي زوجة.. وهذا لا يعني أنني لا أحتاج لواحدة كاثرين.. حين يكون لرجل مزرعة بهذا الحجم، قد تساعده زوجة.

تساعده؟ هل ينظر بالفعل إلى الزوجة من هذا المنظار؟ نوع من الاتفاق العملي. ردت:

وتبدو بارد جداً حول الأمر.

- من الأفضل هذاوالانتقاء بحكمة، بدلاً من ترك العواطف تغريني بدلاً من حكمتي، ثم أن لدي ابنائي افكر بهم.

- ابناؤك؟

- اوه.. ليس لدي بعد. لكنني أنوي.

www.elromancia.com

حقاً.. له جرأة كبيرة! لا ينقصه سوى استشارة كومبيوتر! أم أن هذه طريقته ليخبرها أنه لم يفكر مطلقاً بفتاة انكليزية سخيفة لمثل هذه الوظيفة البراقة؟ حسناً.. بكل تأكيد لن تتقدم بطلب لها! كل ما تريده أن تؤمن مستقبل اليكس. وأن يكون له على الأقل بداية في الحياة.. وبضعة سنوات أخرى لن تغير بلاك لو انتظر، ولا يمكن أن يكون مستعجلاً ليجد عاملة مناسبة كزوجة! هزت كتفيها وردت:

- وهكذا إذن.

ولأن سخريته لم تتناسب مع بلاك الذي أحبته في الصورة، قفزت إلى قدميها، خائفة أن يخمّن ما تفكر به، وقالت بسرعة:

- آسفة لأنني لن أتمكن من لقاء زوجة أبيك وابنتها.. ربما في وقت آخر.

هز رأسه وهو يقف ويقترب منها:

- كم أحب لو يشاهدا هذا الشعر الأشقر. أنت بكل تأكيد لم تأخذي ملامحك من الفرع الأسمر للعائلة.

شهقت حين نسبت ملمس اصابعه لشعرها فشعريرة غريبة:

- أمي كانت فرنسية وشقراء جداً.

- وهذا يفسر الكثير.. أتصور أنك كنت طفلة ساحرة.

حاولت جاهدة أن تتمسك بتوازنها:

- ربما..

بالتأكيد لن يبدأ بتلمسها كما فعل غيره من الرجال؟

- أهناك شيء خاطيء كاثرين.. تبدين كطفلة صغيرة على

وشك أن تُغتصب. لا يجب أن تفكري في هذا قبل أن تدخلي عرين الرجال الكبار السيئين؟

ضحكتها كانت باردة مرتجفة وهي تبتعد عنه:

- أظنك تتمتع بممازحتي سيد بلاك!

- مات.. بالتأكيد ستناديني هكذا إذا كنا أبناء عم؟

- اجل.. مات.. أظن أنني متعبة.. أتمانع لو ذهبت إلى الفراش؟

تعالى بقامته فوقها، ليعطيها الانطباع بأنها صغيرة جداً، وضعيفة، شيء هش لو أراد لحطمه.. وسأل:

- هل هو انسحاب؟ لا يمكن أن يكون هذا دم اسكتلندي فيك.. ربما دمي لم يختلط كثيراً.. لأنني دائماً أندفع إلى الأمام.

ردت بذكاء:

- ارجو أن لا يكون اندفاعك على اصدقاء لا حيلة لهم؟

واستدارت نحو الباب.. فضحك، وفي عينيه أكثر من تلميح.

- تصبحين على خير كاثرين.. نامي جيداً.. فلا زال امامنا الكثير نناقشه لكن لا شيء لا يمكنه الانتظار حتى الصباح.

تلك الليلة كانت احلامها تضطرب، أكثر من مرة، بظل أسود شرير لبلاك، واستيقظت تكراراً غارقة في العرق.. تشاهد وجهه يلوح فوقها وكأنه الشبح المهدد، إلى أن لاح نور فجر جديد مع وعد بالدفء، فقررت النهوض من السرير

www.elromancia.com

وارتدت بدل الجينز تنورة وتي شيرت، التصق بجسدها وكأنه جلد ثانٍ لها.

اطلت على اليكس في غرفته، فوجدته لا زال نائماً.. بسرعة ودون صوت، نزلت السلم ثم خرجت من الباب الأمامي متجهة نحو العشب الطري الندي، لا تزال تحمل صندالها في يدها.. وتركت ندى الصباح الطازج يبلل قدميها، تبتهج دون وعي بالإحساس الوحشي به وهي تسير.. إنها لم تمش هكذا منذ تركت يور كشاير، وجلبت لها الذكرى الحنين الكليل، والدموع إلى عينيها.

توقفت قرب السياج المدهون بالأبيض على بعد قليل من المنزل، والتفتت تتطلع حولها.. حجم الأملاك بدا لها رهيباً.. المنزل، من حيث تقف، فخم، ممتد، خلفه، عبر الأشجار، كابينان خشبية وزرائب للماشية تغطي فدادين من الأرض. على الأقل هذا ما بدا لعيني كاثي المندهشة.. وفوق الجميع تطل جبال نيوانغلندا من جديد، شامخة بجلال ومهابة تظلل المنحدرات وسفوحها.. قممها يلحق بها النظر حتى السماء، اقلها ارتفاعاً فردان بقايات خضراء، والأعلى منها جرداء عارية، يشوبها الثلج هنا وهناك، مؤثرة، مرعبة، كماثيو بلاك بنفسه!

دفعت هذه الأفكار الضعيفة إلى مؤخرة تفكيرها، وقررت أن تحاول إيجاد سيارتها المنكودة.. قد يساعدها هذا على ابعاد ذهنها عن نقص الشجاعة فيها وعن معصمها المتألم.. ربما،

كما أملت متفائلة، تظهر زوجة أبيه أتنقذها؟ سرعان ما تخلت عن هذه الفكرة.. لأنها سخيفة.. فالنساء عادة، نادراً ما يبدون العطف نحو فتيات يدفعن بأنفسهن إلى وضعها.. ومن المستحيل أن تكون السيدة بلاك مختلفة!

تجولت كاثي، حافية القدمين نحو سقيفة ضخمة تتباهى إلى سمعها منها ضربات مطرقة مخنوقة. ولدهشتها لم تكن السقيفة تحوي فقط طائرة هليكوبتر، لكن طائرة صغيرة، طائرة صغيرة فاخرة كذلك. وفي زاوية بعيدة.. سيارتها. تبعدها أكثر، شاهدت رجلاً، شاباً، ينحني امام السيارة وكومة مفاتيح خلفه. تقدمت منه، مقطوعة الأنفاس قليلاً وسألت:

- ارجو عذرك.. هل ستكون على ما يرام؟

وقف الشاب على قدميه، مجفلاً وخجلاً في نفس الوقت.

- آسف سيدتي.. اتريدين شيئاً؟

ابتسمت له.

- سألتك ما اذا كنت ستتمكن من إصلاحها.

ضحك هذه المرة بطريقة ودودة:

- أجل سيدتي.. أظن هذا. في الواقع إذاكانت لك، فسأضمن لك إصلاحها.. لكنني لم أعمل بها سوى ساعتين فقط.

- ساعتين؟ لكن بالكاد تكون الساعة الآن السابقة؟

بدا الدفء في عينيه لرؤية شعرها الأشقر وجسدها النحيل:

- بالتأكيد سيدتي، فنحن نستيقظ باكراً.

- اوه، فهمت.

تراجعت قليلاً أمام نظرة الشاب المعجبة.. آلية الدفاع فيها على أهبة الدفاع.. وقالت بابتسامة أخذت تتلاشى:

- أتساءل..

اختفى صوتها مع ابتسامتها حين أحست بيد متسلطة تهبط على كتفها من الخلف، وصوت ماثيو بلاك في أذنها:

- كان يجب أن تساعديه، لا أن تعيقيه كاثرين!

استدارات بسرعة، فاصطدمت به، فأحست بالارتباك يغمرها تحت نظرته الزرقاء.. لماذا يبدو لها مزعجاً هكذا؟ حين لم تعد قادرة على مواجهة نظرته الباردة، انفضت رموشها الكثيفة، وأحست بالأسوأ حين اصطدمت عيناها بصدره الأسمر على فتحة قميصه النصف مفتوح.. وملأتها الإحساس برجولته بالصدمة والاشمئزاز الذي لا بد ظهر في عينيها. وقالت:

- وصلت لتوي.. وكنت أسأله عن مدى الاضرار. ومن غير الطبيعي أن لا أسأل؟

سخر منها:

- تبدين مهتمة جداً بأن تكوني منطقية. هل تناولت الفطار؟ تبدين وكأنك امضيت الساعة الأخيرة تركضين فوق ندى الصباح.

- لا.. لم أتناول الفطار بعد.

- تعالي معي اذن.. تبدين بحاجة للغذاء.. أظن أنني قادر الآن على سحقك بسهولة.. وإذا استمريت بالنظر إليّ كما تنظرين الآن، قد تدفعيني لعرض هذا عليك، أكنت ابنة عم أم لا.

دون أن يعطيها أي خيار آخر، أمسك بذراعها وقادها معه.. مع ذلك كانت قبضته على ذراعها قاسية وتؤلمها في الواقع. ولم تستطع الاحتجاج حتى وصلا إلى المنزل:

- لم اسأله سوى إذا كان يمكن له اصلاحها.. هذا كل شيء!

- اصمتي كاثرين.. الم أقل لك ليلة أمس أن سيارتك سيجري الاهتمام بها؟ أنت ستلهين الرجل بالبقاء قربه.. ماذا كان يدور في رأسك؟ أن تمرري له بسمة مع كل مفتاح براغي؟

- لا تكن سخيفاً! لا يمكن أن أكون مخطئة طوال الوقت! كنت أحاول فقط المساعدة!

- بامكانك المساعدة أفضل، بابتعادك عن الطريق. أنت مبهرجة جداً، يا ابنة عمي الصغيرة.. ولست أدري لماذا اشعر برغبة في صحابتك، وهذا قد يقنعني بأن هناك رباط دم بيننا، مهما كان خفيفاً، يجعلني أحس أنني أعرفك منذ زمن طويل. إنها صلة النسب، كما اعتقد، لكنه شعور لست مضطراً لمشاركته مع أحد.

دون شعور منها قالت:

- وأنا أشعر بهذا أيضاً.

www.elromancia.com

- لكنك كنت تعرفين شبهي سلف، أتذكرين؟ لم يكن لدي صورة لك، مع ذلك تبدين لي مألوفة.. ربما بعد سنوات، إذا عدت إلى هنا ثانية، قد نتمتع بعلاقة أفضل.

بطريقة بدأت تعتاد عليها، أدخلها إلى مطبخ فخم حيث كان الفطار محضراً على طاولة ضخمة، والسيدة جبسن، في مريلة كبيرة تخرج البسكويت الطازج من الفرن، بينما في المقلاة شرائح اللحم والبيض. أحست كاثي، في هذا المطبخ الكبير، أنها في منزلها، وكأنها عادت طفلة من جديد، فابتسمت للمرأة وهي تقدم لها الطعام بعد أن جلست إلى الطاولة.. يبدو أن ماثيو تناول الفطار، لكن بما أن هذا مر عليه ساعات الآن، فقد كان مستعداً لوجبة أخرى.

تذكرت كاثي والسيدة تصب لها الطعام أخيها اليكس، فقالت لماثيو بسرعة:

- اتسمح لي بأن أذهب وأحضر أخي؟

جرّ كرسياً ليجلس، ومد يده على ابريق القهوة:

- اظنني اسمع وقع اقدام.. ولا بد أنه هو.

في لحظات دخل اليكس، وبعد تحية الصباح بأدب، جلس كما أشارت السيدة، قرب كاثي، وقال:

- كان يجب أن تصحيني.

- ظننتك بحاجة إلى راحة اضافية. كنت متعباً.

- دائماً تظنين أنني متعب.. لكننا لسنا في لندن الآن!

- ليلة أمس لم تستطع البقاء صاحياً.

- لكنني بخير هذا الصباح. وكان يجب أن...

عند هذا قرر مات التدخل، وركز نظره بحدة على وجه اليكس المتورد:

- لا داعي للعجلة، أظن الوقت لا زال مبكراً.. سآخذ شقيقتك إلى البلدة بعد الفطار ليتفحص الطبيب ذراعها.. أتود المجيء معنا؟

تنفس اليكس بعمق، ونظر إلى مات متفرساً:

- لست واثقاً.. لكنني أفضّل أن أبقى سيدي.. إذا كنت لا تمانع. هذا إذا وعدتني أن تعتني بكاثي؟

وافق ماثيو بوقار:

- أوه.. سأفعل هذا. سيكون نوع من التغيير لك، أن لا تشغل بالك بها.

رد، قبل أن تستطيع منعه:

- حسناً.. أنها تخاف من الرجال.

حاولت تجنب نظرة ماثيو المتفحصة، وحملقت بأخيها:

- أنت تخترع الأشياء! الكسندر يتوهم أشياء كثيرة.

تجاهلها مات وهو يلتفت إلى اليكس، رجل إلى رجل:

- طالما تلازم المنزل وجواره، لن يصيبك اذى.. وبعد الغداء سآخذك بنفسي في جولة، لكن حتى ذلك الوقت، انصحك أن لا تبتعد كثيراً.

هز اليكس رأسه موافقاً، لكان كاثي أحست بحاجة لمعارضته:

www.elromancia.com

- لا أريد الذهاب إلى البلدة.. وذراعي أفضل بكثير.

نظر إليها نظرة سمّرتها:

- لا تجادلي.. أنت فتاة طيبة.. وأنا المسؤول عن حادثتك.. أو بالأحرى ثوري، وهو يعني نفس الشيء!

تطوع اليكس للشرح وهو يمسح قطعة الخبز بالمربي:

- كاثي لا تستطيع تحمل اجرة الطبيب.

أحست كاثي بتزايد سخطها على كشفه لأمور خاصة:

- لا تكن سخيفاً!

ألا يذكر شيئاً مما قالته له؟ وتابعت محمرة الوجه:

- بكل تأكيد استطيع.. في الواقع سأصرّ على الدفع!

- لكن.. اووه.. أنا آسف.

تراجع اليكس في وقت كان يستعد للاستمرار في كلامه، حين نظر إلى وجه كاثي المحمّر.. لكن سكوته زاد الأمر سوءاً.. ولراحتها أخذ مايثو يحرك السكر في قهوته دون أن يبدو عليه أنه سمع نقاشهما.. وسألها برفع رموشها، الانثوية الجميلة، ليترك عيناه تنظران إليها:

- ألديك سترة كاثرين؟

- أجل.

وقف بسرعة.

- اذن.. اسرعي لإحضارها.. أود الانطلاق في أسرع وقت ممكن.. لاقيني في الخارج.. اريد التحدث بسرعة لوكيل العمال.

وهي تقف، جمدت:

- وكيل عمالك؟

- هذا ما قلته كاثرين.

تجاهلت خشونته وقالت متشوقة:

- ايمكن أن أجيء معك.. لأراه. أعني أشعر أنني مدينة له بالشكر لمساعدته لنا.

- هذا شيء رائع.. لكن لا تزعجي نفسك به.. ذلك الرجل لم يكن وكيل العمال. وأخشى أنك لن ترى ذلك الرجل مجدداً.. وأؤكد لك أنه راضٍ بما تلقاه من شكر.

* * *

www.elromancia.com

- ٤ -

الدرس الأول

أقل من ربع ساعة، فيما بعد، كانت تجلس إلى جانب ماثيو في الطائرة الصغيرة. تثبت حزام الأمان قبل أن يقلعا. نظرت إلى جانبها لترى رأسه الأسود الشعر، وتلاحظ خبرته ومهارته التي لا شك فيها في الطيران.. أحست بالارتياح داخلها، وكأن جزءاً منها اعترف بالثقة به، وهذا شيء لم تحس به نحو أي رجل من قبل.. ما عدا مع والدها.

كانت تراقب الغيوم، راضية أن تترك التوتر يرحل عنها.. لكن سؤاله اجفلها:

- هل أنت معتادة على الطيران كاثرين؟

- قليلاً.. لكن في طائرات كبيرة.. فليس هناك الكثير في انكلترا ممن يملكون طائرات خاصة.

- ليس لديكم هذه المسافات البعيدة التي لنا هـ. ويجب أن تتذكري أن اوستراليا قارة بحد ذاتها.. هذه المقاطعة لوحدها

مساحتها تقارب مساحة بريطانيا القديمة.

- أعرف ذلك.

- إنه واقع جغرافي.. ولا حاجة لكراهيته.

- وهو واقع يسمح لكم بازدياد الثراء.

رفع حاجبه:

- أظن أن جدنا الأكبر، بمجيئه إلى هنا فكر بكل الارتياح الذي كان له في بلاده، ولا أظنه استطاع تعويضه في حياته. وإلى مدى معينٍ لا نزال هنا في بلد بكر بحاجة للاستكشاف.. لكن، هناك مكافئة كبرى لمن هو مستعد للعمل فيه.

الجدال مع هذا الرجل كمن يصدم رأسه بحائط من المنطق! وسألته لتغيير الموضوع:

- لديك أكثر من طائرة واحدة. اتستعملها دائماً حين تأتي إلى البلدة؟

- لا.. بل نستخدمهما في التفتيش عن قطعان الماشية في الأراضي التي تغطيها الأشجار المنخفضة. وهذا يوفر الكثير من الوقت الثمين.. ونستعملها في أشياء أخرى كذلك، مثل زيارة أحد الجيران في مسألة عمل أو زيارة اجتماعية. فمئة ميل في الطائرة لا شيء. بينما في سيارة، وفوق طريق من الدرجة الثانية، قد تستغرق الرحلة يوماً كاملاً.

بعد صمت قصير عاد لسؤالها:

- كنت أتوقع أن فتاة بمثل جمالك، تتزوج بسرعة.. فكيف تمكنت من النجاة من هذا المصير؟

ردت بحدة على سخريته:

- بإمكاني سؤالك نفس السؤال.. بالنسبة لي لا أريد أن أتزوج!

- قد تغيرين رأيك.. أليس لديك صديق مميز؟

- لا.

- لو كنت أكبر سناً كاثرين لظننت أن امتناعك سببه خيبة أمل كارثية في علاقة حب.

- ولماذا تفكر هكذا؟

- للطريقة التي تنكمشين فيها كلما اقتربت منك. كما أن اليكس أشار إلى أنك تخافين الرجال.

اذن لقد سمعه!

- أنا لم أعرفك سوى بالأمس.

- لا أريد تفسيراً.. خاصة بما يتعلق بي وبك.

- أيجب أن يكون هناك تفسير؟

لم وضعت نفسها في مثل هذا الموقف المذل؟

- اجل.. أظن هذا.. لكنني لا أريد أن أنتزع التفسير منك كاثرين. لو كنا في الهليكوبتر، لنزلت على الفور، وتأكدت خلال دقائق أن أحصل على اعتراف كامل منك. وإذا لم تعجبك طريقة، فعلى الأقل ستستمتعي بها.. فأنا لا اعتبرك صغيرة جداً.. لأشياء كثيرة. خاصة بنوعية فمك.

احمر وجهها حتى اصبح قرمزياً، واطرقت رأسها لتنظر إلى يديها. وفمها الجميل الممتلىء الذي ابدى اعجابه به مشدود. كم

أنه رجل وقح! وكأنما كي تزيل عنه شكوكه قالت:

- أنا لا اهتم عادة بالرجال.. عامة! وبالطبع قد لا ينطبق هذا عليك.

رد ساخراً:

- كم أنا ممتن.. أظن أنك مررت بتجربة تعيسة؟

- لا.. على الأقل ليس تلك التي تفكر بها.

- عجباً! لطالما تفننت النساء بالظهور ضعيفات بريئات وحتى مرحلة متقدمة من علاقتهن، يتركن الرجل حائراً.

- مع ذلك فهن يعجبن بالرجل القليل الخبرة.

- هذه مظلمة زائفة اخرى. انهن عادة لا يرغبن في علاقة مع رجل لا يعرف ماذا يفعل. مع ذلك يحتقرن الخبرة التي يظهرها.

- اوه...!

اخفضت نظرها عنه خجلة، لم يتحدث معها هكذا؟ وكأنما يغازلها عن طريق حديث معتدل عادي. لكن جزءاً منها كان مستعداً للتجاوب! وتمتمت أخيراً:

- أظن أننا نتحدث على موجتين مختلفتين.

- الطريق عادة يعلو وينخفض، وأنا واثق أن هناك نقطة يجب أن نلتقي بها، ويمكنني القول أنني أتلهف لأجد هذه النقطة. ربما.. حين تعودين إلى هنا مرة أخرى. لهذا الكلام.. استطاعت أن تطلق ضحكة صغيرة:

- أنا ابنة عمك مات.. اتذكر؟

www.elromancia.com

رد بنفس اللهجة:

- وهذا يزيد الأمر لمسة احترام.

هبطا في بروكن هيل، المدينة الرئيسية في مقاطعة نيو ساوث وايلز.. ثم قال مات:

- كان يمكن أن نذهب إلى مكان آخر، لكنني اعرف هنا طبيباً ساحراً في تعامله مع العظام. كما أنه سيجد من الملائم استقبالك هذا الصباح.. عكس أماكن أخرى.

بعد ساعتين، أو يزيد، كانا في طريق العودة. سرعة العملية كلها اربكت كاثي، ولم تستطع التصديق حين صعدت ثانية إلى الطائرة.. وأحست بضربة صاعقة لكبرياءها أنها لم تستطع حتى أن تعرض الدفع، حتى أنها لم تعد تستطيع النظر إلى ماثيو.. لحسن الحظ ذراعها لم تكن مكسورة، مجرد التواء عند المعصم، وخروج المفصل قليلاً عن مكانه.. وبدا أن الطبيب صديق قديم لماثيو من أيام الجامعة.. لكنه نصحها أن لا تقود سيارة.

لم يعلق ماثيو على هذا قبل أن تحط الطائرة بهما في المزرعة، ونظر إليها قائلاً:

- انت مضطرة لاطالة زيارتك الآن.. أليس كذلك؟ إلا إذا كنت مستعدة للسفر بالقطار.. أو العربة.

مرة اخرى تساءلت ما ستكون ردة فعله حين تقول له أنها لا تنوي أن تغادر المزرعة أبداً. وقالت:

- افضل البقاء معك، إذا كنت لا تمانع.

- أنت على الرحب والسعة طبعاً. لكنني مضطر إلى أن أشير أننا الآن مشغولون في المزرعة، لذا لن يكون لدي وقت لمرافقتك.

- لا.. لا.. بالطبع.. اعني، اعرف أن لديك أعمال كثيرة. لكن لا بد أن تعود إلى المنزل في المساء؟

سألها بخبث:

- وهل ستنتظريني.. بلهفة؟

- حسناً.. أود أن أتعرف عليك أكثر.

ضحك:

- اوه.. سيتم لك هذا كاثرين. لا أشك في هذا مطلقاً:

ذلك المساء، لم يبدو اليكس أنه يشاركها شكوكها.. وآوى إلى فراشه باكراً بعد العشاء مباشرة، كان قد خرج لوقت طويل مع ماثيو بعد الظهر، بحيث لم تتمكن سوى من الحديث سريعاً معه. حيث تبين لها حماسته حول ماثيو، وهذا أمر لم يظهر عليه من قبل.

- انه رجل متفوق كاثي.

فتمتمت:

- لكن تذكر أنه قد لا يكون لطيفاً معنا حين أطلب منه البقاء هنا. ولقلة الوقت أمامها توقف الأمر عند هذا.. بعد العشاء أخذ ماثيو كما كانت تخشى، يسألها عن حياتها في انكلترا.

- الديك وظيفة تعودين إليها كاثرين؟

- لا.. كان لدي وظيفة، لكنني تخليت عنها.. لأجيء إلى

هنا.

- ألم يكن رب عملك متفهماً؟

- باستطاعتي أن أجد وظيفة أخرى بسهولة.

- هل تدربت على شيء؟

- لا شيء محدد. إذا كان هذا ما تعنيه.

لراحتها، لم يتابع الموضوع، بل سألها بعد سكوت قصير:

- هل يذهب اليكس إلى مدرسة خاصة؟

- خاصة؟

- اعني مدرسة داخلية؟

- لا.. إنه ضعيف الصحة.. كما ترى.

- لكنه يبدو على ما يرام لي.

- هذا لأنك تراه كما هو اليوم.. إنه عادة متعب و..

و...

وصمتت، وكأن شيئاً ما علق في حنجرتها. لكنه قرر تجاهل هذا.. وسألها سؤالاً مختلفاً:

- ماذا كان والدك يعمل؟

- كان رأسمالياً معروفاً جداً.

- إذن ترك لكما ما تعتمدان عليه.

كيف تجيب على هذا دون فضح نفسها؟

- تدبرنا أمرنا.

- لا بد أن اليكس أحياناً يتصرف أكثر مما تستطيعي التعامل معه؟

هذا يعني كثيراً من الأشياء، وقررت أن ترد على معناه الظاهري.

- انه عادة جيد.. دون مشاكل. لكنني أقلق عليه أحياناً.. كما هو متوقع مني.

- طبعاً.. لكنني اعتقد أن عليه الذهاب إلى مدرسة داخلية جيدة. وأظنه أكثر من مستعد لواحدة.. وإذا بدأ في هذا الخريف، قد يعطيك هذا فرصة للاهتمام بحياتك.

ما من أحد يعرف مثلها كم يتشوق اليكس للذهاب إلى مدرسة داخلية.. وكان من الممكن أن يكون هناك لولا أن والده كان يقول أن سن الثانية عشرة سن مبكرة. أما الآن فلن يذهب مطلقاً.. إلا إذا استطاعت اقناع ماثيو بإرساله. ولا بد أن هناك طريقة مناسبة للاقتراب منه. فقد كان لطيفاً مع اليكس، وأخذه معه ليريه المزرعة، وحين اكتشف أنه يعرف الركوب، جعله يمتطي جواداً من نوع «البوني» الصغير وأخذه معه حتى سفوح الجبل. وأجابته:

- حياتي الخاصة، ليس لها أهمية كبرى عندي.

- قد تكون مهمة.. فالعديد من النساء يدفعن أي شيء ليبدين بجمالك.. فالجمال لا يمكن تجاهله. إنه هبة من الله ولها امكانياتها.. كما ستكتشفين بنفسك يوماً.

- أوه.. هذا كلام وقح...! أظنني تعبة ولا أعرف ما أقول. لو سمحت لي، أريد الذهاب إلى غرفتي... وأنا متأكدة أنك كنت تمازحني.

www.elromancia.com

ـ اظن كلانا تعب كاثرين!

في الأيام التالية، بدا على اليكس التحسن السريع، وأنه استقر لما حوله.. وكان لهذا أن يسعد كاثي، لكن العكس حصل حين ادركت أنه مصمم على البقاء هنا، وهذا أمر لا بيدها ولا بيده.. أخذ يتوسل إليها أن يبقيا هنا:

ـ إنه مكان رائع حقاً.. لكن إذا لم يقبلنا ماثيو، فلماذا لا تحصلين على وظيفة في أحد البلدات، أليس هذا نفس ما سيحدث في انكلترا؟ لماذا لأنها جرت إلى هنا بصورة رسمية؟ لا أريد العودة إلى هناك.

حين يتوسل اليكس هكذا بكل براءة تجد صعوبة في أن تذكره أن المستقبل سيكون قاتماً جداً لهما، إذا رفض ماثيو أن يساعدهما.

في أحد الأمسيات، قبل العشاء، وصل ضيوف إلى المزرعة، كان الريح شديداً في الخارج، ولم يسمع أحد الطائرة تحط، إلى أن انفتح باب المنزل ودخل شاب، في أواسط العشرينات كما خمنت كاثي. وقال ضاحكاً:

ـ مرحباً ماثيو، سمعت أن لديك زوار، وبلغ فضولي مرحلة الألم.

وتساءلت ما إذا كان الزوار هم السيدة بلاك وايملي، مع ضيفة اخرى، لكن السيدة جبسن اخبرتني أنني مخطيء.

ابتسم ماثيو لزائره:

ـ آسف لخيبة أملك.. فأنت لم تسرع كثيراً للحضور في

حال ظننت أن ايملي هنا.

وقام على الفور بالتعارف بينهما..

سرعان ما أخذ كريس لاوثون بكاثي.. وصفّر بشكل طفولي، وبدت الدهشة على وجهه:

ـ ابنة عمك؟

نظر ماثيو بحدة إلى وجه كاثي المحمر:

ـ لا شيء مؤكد بعد. فكاثرين متحمسة للفكرة أكثر مني.. يبدو أننا نشارك جداً واحداً جاء إلى هنا منذ حوالي المائة والخمسين سنة.. لكن هذا يجب أن لا يمنعنا من البحث أكثر، لوثائق مؤكدة في مكان ما.

بقي كريس ينظر إلى كاثي وهو يردد عليه:

ـ هكذا إذن! لقد سمعنا بحادثتك، وأنا آسف جداً.

نظر إليها ماثيو:

ـ اترين كيف تطير الأنباء كاثرين؟

ضحكت، محاولة تجاهل احساس داخلي، أن وجودها هنا سيسبب الاحراج لماثيو.. وقالت:

ـ اجل.

تابع الثلاثة الحديث، وأخذ كريس يسأل وكاثي تجيب، بينما كان ماثيو يشرب كوب عصير ويشارك أحياناً ويراقب في اخرى.. ولم يلزم كريس كثير من الإلحاح ليبقى للعشاء.. وكان واضحاً أنه مسحور بكاثي، ووعد أن يعاود الزيارة قريباً.

لم تصدق كاثي أنه سيفعل... لكنه عاد مرتين في الأسبوع

www.elromancia.com

التالي. ووجدت صحبته مقبولة، خاصة في غياب ماثيو.. لكن هذا كل شيء. صحيح أن مات لا يمكن أن يلومها لزياراته، لكنها تشك أن يوافق عليها. فمن المفترض، كما قال لها، أن كريس يحب شقيقته من ابيه، إلا إذا كان بارعاً في إخفاء الأمر.. فهو لم يظهر أي ردة فعل حين قال له ماثيو أن ايملي ستعود إلى المنزل خلال بضعة أسابيع، وربما أقل.

زيارة كريس التالية، كانت كاثي تتمشى لوحدها قرب الساقية.. وسألها حين وجدها ولاحظ وجهها المحمّر من الحرارة:

- ألا تسبحين؟ ألم يأخذك ماثيو إلى البحيرة؟ الطقس حار الآن.. والشمس حارة كذلك.. لكن المياه هناك كالثلج.

- مرحباً!.. لا.. شكراً لا أريد الذهاب إلى هناك. اليكس يسبح كل يوم في الساقية، وأنا أجلس لاتفرج عليه. وأعرف أنه يتمتع بالسباحة.

- لا بد أن أخاك أخذ يخرج من قوقعته. لماذا انتما لوحدكما؟ وكيف وصلتما إلى هنا؟ أين هي سيارتك؟

- لقد أوصلني ماثيو إلى هنا، إنهم مشغولون في جمع العجول التي تضيع عادة في الربيع.

- في الواقع كاثي، أنا ذاهب إلى المدينة، وأتساءل إذا كنت تودين المجيء معي.. إذا لم يكن لأجلي، فهناك محلات جميلة وكونك امرأة، لن تستطيعي مقاومة إغراءها!

افلتت منها تنهيدة خفيفة، فهي لا تملك المال لهذا، ولا

الثياب لتماثل أناقته، وقالت على مضض:

- ربما.. في مرة أخرى.

- اوه.. هيا كاثي.. ماذا يمنعك.. إنها بضع ساعات فقط..

ويبدو لي أنكِ بحاجة لشراء ملابس.. صحيح أن منزل ماثيو يشابه أياً من منازل الريف في بلدكم، لكن هذا لا يمنعك من الذهاب إلى مكان آخر؟

- من الأفضل أن لا أذهب معك كريس.

- ألا اعجبك؟

- ليس السبب أن تعجبني أم لا. فأنت تعجبني.. لكن اليكس غائب طوال النهار، وحين يعيدني ماثيو إلى المنزل يجب أن أرى أين هو. ولا يمكن أن أتوقع أن ترعاه السيدة جبسن عني.

- حسن إذن... معي أحد العمال، لديه عمل عائلي ملّح في المدينة، وعليّ الآن انتظاره لوحدي.

- آسفة كريس.

وبدا أن كريس لم يستطع أن يقاوم ما بدا له جمال مغري فمد يده، وقبل أن تستطيع منعه ضمها إليه، وقبل شعرها الأشقر. لكن أياً منهما لم يشاهد ماثيو وهو يتقدم نحوهما.

شهقت كاثي بإحباط وهي تنتزع نفسها من بين ذراعيه.. واحمرّ وجهه وهو يتمتم:

- وداعاً حلوتي.

www.elromancia.com

وفي لحظات كان قد ذهب، لتختفي شاحنته الصغيرة ضمن غيمة من الغبار.. حتى في هذا الوقت لم تكن قد لاحظت وجود ماثيو. لكنها لم تفشل في أن ترى كيف أن عينيه دارتا باحتقار على وجهها حين توقف أمامها ونزل من السيارة.. وقال بصوت هامس أجش:

- من كان هذا؟

شكت كاثي أنه يعرف! وتذكرت ما قاله عن كريس وشقيقته: فتمتمت عاجزة:

- كريس. جاء يسألني الذهاب معه إلى المدينة.

صحيح أن عناق كريس ازعجها، لكن الأسوء منه كان نظرة ماثيو الباردة.

- ولِمَ لم تذهبي؟

- كان يجب أن أفعل، لكن ثيابي أصبحت بالية، ولم أحضر معي غيرها.

- اعرف تماماً عوزك إلى الملابس. وكانَ يمكن لك في المدينة أن تعززيها بما هو جديد. ويمكن أن يشتري لك كريس بضع أشياء.. فهذا الثوب الذي ترتديه، كفيل بتشجيع أي رجل في عروقه دم.

- أنا لا أمانع بما أرى منك.. لكنني لا أريد الآخرين أن يتمتعوا بنفس الأفضلية.

أيظن بضعة اهانات قد تفيد؟ رفعت رأسها بكبرياء وتقدمت مبتعدة عنه نحو مياه الساقية المترقرقة تحت الشمس.

وقالت تحس بالإحباط:

- أظن كريس لم يكن يعني سوى أن يكون جاراً لطيفاً.

بدا عليه بعض اللين:

- لا أريد الخصام معك كاثرين.. خاصة وأنت ضيفتي.. ولا أريد تذكيرك أنني قلت لك أن كريس لا يتحمل التشجيع.

- أنا لم أشجعه.. اعترف أنه عانقني، لكن هذا لا يعني شيئاً!

- إذن، لم يؤثر عليك؟ أم انك تنظرين إلى العناق وكأنه لا شيء؟ لا قيمة له ولا تأثير محتمل.

- لو استطيع فقط إقناعك. أنا لا أحب حتى أن يعانقني أحد.

ضحك بخشونة قاسية:

- ما من فتاة يجب أن تقول هذا.. فأي رجل يمكنه مقاومة مثل هذا التحدي؟

ظهر الرعب في عينيها حين أدركت أنه سيحذو حذو كريس.. فمع كريس لم تشعر بشيء. لكن مع ماثيو.. الأمر مختلف. ربما لأنه تحرك نحوها ببطء متعمد، وبدا لها أنها لا تستطيع سوى الانتظار بكل بلادة لأي عقاب قد يوقعه بها.

وكأنه عرف أنها لن تستطيع الحراك.. فأخذ وقته كما شاء.. وامتدت يده ببطء ليجذبها إليه، ثم شدها بلطف، ولف ذراعاه حولها ليصبح رأسها على صدره. وكأنه ينوي أن يستكشف حتى النهاية ماذا تستطيع أن تقوله له. حيث بدأت

www.elromancia.com

تجتاحها موجات الرغبة، ترافقت معها آهة عذاب صغيرة.. لكنه حتى بعد أن سمعها لم يخفف من قبضته عليها.. بل ارتفعت يده لتمر على شعرها ويشد رأسها أكثر إلى صدره، حتى أنها سمعت ضربات قلبه المنتظمة، بينما كانت الأخرى تضغط خصرها.

النار التي سرت في عروقها كانت تلغي بسرعة آخر مقاومتها. حتى أن هذا كان أقوى من أية مخاوف تملكتها حتى الآن. وإذا كانت هذه المخاوف باقية فيها فقط تحولت دون رحمة إلى شيء آخر ملموس، بما تحسه من قوته الفائقة. وبدا لها أن لا حدود للمشاعر التي اشتعلت في جسدها الصغير الضعيف، إلى أن أصبح كل ذرة فيها متجاوبة.. ولم تعد تعي سوى الرغبة الحارقة، لأن يضمها أكثر، وتشعر به أكثر، لترضى به ويرضى بها.

ما أحست إلا والدموع تندفع من عينيها عبر جفنيها المغمضين بقوة. عندها فقط، وبعد أن شعر بدموعها، تركها بارتياح وكأنه نال ما يريد من عقابها. لكنه لم يدعها تبتعد، وسمعت انفاسه الحادة، وكان يمسك بها والأرض كأنها تهدر تحتها، وأخذ يمرر أصبعه على وجهها الملتهب، فهمست:

- ماثيو!

رجائها الصامت للمزيد من العناق كان له سبب لا تعرف ما تسميه.. لقد كانت لا تزال نصف طفلة حتى هذه اللحظات.. وماثيو غيّر كل هذا في لحظات، أكثر مما يمكن

لدماغها المعطل عن العمل أن يفكر به، وسمعته يجيب:

- اجل.. نادني ماثيو.. تذكري هذا! ولا حاجة أن ترجوني كاثرين، فبإمكاني الاستمرار بعناقك حتى ترجوني الرأفة بك.. ولن أكون واثقاً أنني سأعطيك هذه الرأفة.. لكن، عليّ أن أتذكر أنك مُعتبرة تحت مسؤوليتي.. لكن درساً صغيراً كهذا، لا يمكن أن يحتسب ضدي.. وأظنك كنت بحاجة ماسة لهذا الدرس.. يا طفلتي!

* * *

www.elromancia.com

- ٥ -

ما زالت غريبة!

ماثيو بلاك، بوجهه المتجهم المماثل لسلفه الاسكتلندي القديم، أصعد كاثي إلى شاحنته الصغيرة. وأحست كاثي أنها على شفا البكاء بهستيريا، وكأنها طفلة عوقبت بما يكفي ليوم واحد.. مع ذلك تبقى عنيدة. أدار رأسه وهو يغلق بابها يضبطها تحدق به، وعيناها مليئتان بالمشاعر.

كلماته التالية فاجأتها بهدوءها:

- متن المفترض أننا متمدنون كاثرين.. معظم الأوقات استطيع أن أقسم على هذا.. لكن البلاد لا تزال هنا متوحشة في اجزاء كثيرة، فلا تتوقعي من الرجال هنا أن يكونوا لطفاء.. وأنصحك أن تفكري جيداً يا صغيرتي قبل أن تتهوري في شيء.

انتزعت نظرتها منه لتنظر أمامها، لا تريده أن يعرف أنها متخبطة رأساً على عقب:

- لم أكن أفكر بشيء من هذا.

- مع ذلك من الأفضل أن تفكري. كريس، رجل استسلم بسرعة لتهور مفاجيء، ولما كنت قد نفذت من يده لولا أنه مستعجل الآن. خاصة إذا ظهرت له نفس الدرجة من التجاوب التي اظهرتها لي.

ردت بعنف ساخط:

- على الأقل كان لطيفاً معي، وهذا أمر مقبول!

- بوجود كل ذلك الدم الفرنسي في عروقك، لم تظني أن بإمكانك البقاء سالمة؟

رفعت ذقنها بكبرياء

- ظننت أننا نبحث أمر كريس؟

- وانت أيضاً.. إذا كنت تفكرين بالتورط، فمن الأفضل لك أن تفهمي أنه كان يرمي الطعم لك، فقط. ولقد شاهدته يفعل هذا من قبل.. وهو يتمتع بالعبث مثله مثل أي رجل آخر، لكنه دائماً يعود إلى ايملي.

- عظيم! وكم عمر ايملي؟

- خمسة وعشرون. وعليك أن تتذكري أنها أكثر منك خبرة بسنتين على الأقل.

- الا تظنها في مثل هذا السن قادرة على رعاية نفسها؟ كبيرة ما يكفي لتفهم أن عليها البقاء هنا لرعاية مصالحها؟

- هذه هي النقطة بالضبط حلوتي.. إنها لا تحصل على فرصتها.. لأنها تملك الرغبة المجنونة في السفر الدائم. ولقد

دارت حول الأرض مرات عديدة حتى داخت. وتحب أن تأخذ ابنتها معها.. وأنت ليس عليك القلق من ايملي، بل من أمها. أترين.. إنها تريد لهذا الزواج أن يتم، وبكل تأكيد ستحطم أية فتاة غبية قد تقف في طريقها.

أيمكن للسيدة بلاك أن تكون دون رحمة كابن زوجها تماماً؟

ـ ألن تحسب حساباً لمشاعر كريس؟

ـ أوه.. سيوافق معها في النهاية إذا لم يتدخل أحد.. فلدى إيملي حصة من المال لها، مما قد يدعم خزينة آل لاوثون الموشكة على الفراغ. وأنا أعطيها دعمي، فأنا أرى أنها لو تزوجت، فلن تبقى تحت رحمة أمها.

ـ لست أفهم، إذا كانت السيدة بلاك ترغب في هذا الزواج، لماذا تأخذ ابنتها معها؟

التفت إليها، عند المستوى المنبسط للطريق الموصل إلى المنزل:

ـ اعتقد أنها لا تستطيع منع نفسها من أن تكون أنانية. فهي تستمر في الإصرار على أن إيملي أصغر من أن تستقر بعد.

ـ وهل تعتقد أنت هذا؟

ـ أنا أقول أن على الفتاة أن تستقر في سن مبكرة، وبعضهن يصبحن مستعدات لهذا.

ـ حسناً.. لست بحاجة إلى التفكير أنني سأضع العصي في الدواليب..

ابتسم ساخراً:

ـ نوع نظراتك يمكن أن تكدر أي شيء كاثرين. وبالطبع، عليّ أن أتذكر أنك مجرد زائرة.

زائرة! عضت على شفتها، تلجأ إلى نوع عبوس من الصمت وبقيت كذلك إلى أن توقف ماثيو أمام المنزل.. هل هذا تلميح إلى أنها تجاوزت حد الترحيب بها؟ إذا كان قد سأم الآن من وجودها ووجود اليكس، فما هي ردة فعله حين يعلم أنهما سيبقيان طوال الوقت؟ لكنها لسبب ما، لم تكن متأكدة أنها قد ترغب في البقاء! وكم من السعادة ستحس بها لو تستطيع أن تغادر في الغد.. أن تتمنى له الحياة السعيدة بمنتهى الأدب!

خلال بحثها السرّي عن الكاوبوي الطويل الذي انقذها، ودون معرفة ماثيو، نمت صداقة من نوع ما بينها وبين ستانلي، الذي ذكر لها، حين كانت يوماً عنده في المكتب أن أحد الرعاة الشبان سيقيم نوعاً من الحفلات الراقصة بمناسبة بلوغه الواحدة والعشرين، لكنه أصيب بخيبة أمل لأن عازف الغيتار أصيب بالتهاب الزائدة. وحين سألت عما يجب على الموسيقي هذا أن يؤدي قال لها:

ـ مجرد بضعة معزوفات راقصة وأغاني غريبة منفردة.. لا شيء.. لا يمكن الاستغناء عنه.. فقط بضع زوجات هنا، ليس لدينا فتيات، والموسيقى تساعدنا على إملاء الفراغ.

نظرت إليه كاثي، واندهشت لنفسها حين سألت متهورة ما إذا كان بإمكانها أن تفعل شيئاً. فارتفع حاجباه بالعجب.

ـ أنت!

ـ تلقيت دروساً في الموسيقى، بالطبع لم أعزف من قبل في حفلات.. لكن قيل لي أن عزفي جيد.. وهو أفضل بكثير من لا شيء..

بدا ستانلي مسروراً، ثم تحول إلى الريبة، بعد لحظة إلى الارتياح وصاح:

ـ ماثيو سيذهب إلى المدينة مساء الغد. ولا يعود عادة إلا متأخراً، وربما في الصباح التالي حين يضطر. إنه عادة يتعشى مع صديقة له.

تعجبت كاثي لماذا آلمها هذا الخبر، لكنها قامت بسرعة:

ـ سأحضر إلى هنا حوالي العاشرة، بعد أن ينام اليكس.

كانت مقتنعة أن ستانلي ما كان ليسمح لها أن تشارك في شيء ليس لائقاً.. إنه أكبر منها، ومسؤول بالكامل.. ثم ألم يؤكد لها أن زوجات العمال ستكون هنالك!

وكن هناك.. ورحبن بكاثي وجعلنها مسرورة من شجاعتها في المجيء. حبورهن البسيط الدافيء جعلها تدرك كم كانت تتضور عطشاً لصحبة انثوية شابة خلال السنة التي مرت وتجاوبت معهن بسعادة. السقيفة كانت منظفة تماماً ومزينة إلى حدّ ما ومضاءة جداً. وكان هناك قالب حلوى كبير، وقُدم لها قطعة كبيرة منه مع مرطبات وعصير قبل أن يسمح لها بالوصول إلى الغيتار.

لم يكن لديها أدنى شك، قبل أن تبدأ الغناء، كم سيبتهج الجميع بغنائها. كانت ترتدي تنورتها الوحيدة، وبلوزة مكشوفة

الياقة، ووقفت بجسدها النحيل في الظل شعرها يشع كشعر طفلة، يتدلى ملتفاً بتجعدات حول كتفيها. فبدت كحورية ساحرة، صوتها ينساب بإحساس وإثارة مع بعض الخشونة، شدت المستمعين إليها بخشوع.

غنت بعد استراحة قصيرة، بعض الأغاني الشعبية الخاصة بأهل ايرلندة، ثم أغانٍ معاصرة، وطارت ساعة أخرى من الزمن. وهي تعزف وتغني أحست بالتوتر الذي استولى عليها في الأسبوع الأخير يتلاشى، أو ربما هي مسترخية لعلمها أن ماثيو في المدينة، على بعد ما لا يقل عن ثلاث ساعات.

لكن، لسوء الحظ، لم يكن هناك ما يحذرها أنه ليس ببعيد. ولم تشاهده يتسلل من خلف السقيفة.. ولو أنها نظرت إلى وجه ستانلي، فلربما خمنت أن هناك خطب ما، لكنه فشل في جذب انتباهها، ولم يجرؤ على مقاطعتها.

من الأغاني المعاصرة، التي اتخذت بعداً آخر لدى غنائها لها، انتقلت إلى الأغاني الغربية.. فقد وجدت بضع نوتات محضرة للغيتار وأمام غبطتها شارك الجميع في الغناء والرقص.

وتعالى الصياح للمزيد، لكنها فجأة لم تعد تريد الاستمرار. فقد آلمتها حنجرتها قليلاً. وعلمت أن الوقت أزف لتتوقف. لكن بالرغم من احتجاجات ستانلي رفض الجميع الإصغاء.. فتجمع الرعاة من حولها وكأنما وجود كنزاً غالياً جديداً، ولا ينوون مطلقاً تركها تفلت من يدهم.

سرعان ما قطع صوت ماثيو الصياح والتوسلات:

ـ اظن أن الفتات اكتفت يا رفاق، ربما ستقبل بالغناء مرة أخرى.

اتسعت عينا كاثي بالرعب، وكان هذا واضحاً للجميع بالرغم من اخفاءها للأمر بسرعة:

ـ ماثيو!

رد أمام اذنها بجفاء:

ـ اجل.. ماثيو! ضعي الغيتار من يدك كاثرين.. وودعي الجميع.

لكن حتى الرئيس، لم يسمح له بالخلاص بسهولة.. فأعطى الشراب المرطب. ودهشت لقبوله. مع أنه لم يترك ذراعها، وابقاها إلى جانبه وهو يحتسي العصير، وتبادل بعض الكلمات مع ستانلي.

همس لها بصوت حاد والرجال يودعونه للذهاب.

ـ أظنك دخلت إلى هذه العصبة المجنونة صدفة؟

ـ لا..

ـ اقتراح ستانلي إذن؟

ـ لا.. على الأقل ليس له علاقة.. قال لي فقط أن هناك حفلة وأن لاعب الغيتار في المستشفى.

ـ وهكذا وجدت نفسك مجبرة على الحلول مكانه؟

إنها تكره سخريته! رفعت ذقنها المستدير:

ـ لم أكن مجبرة على شيء.. حتى أنني نسيت أن غيتاري معي. وبدا لي من السخف أن لا أعرض المساعدة. مع أنني لم

أكن أفكر بهذا.. لكن بالتأكيد لم يكن في هذا ضرر؟ إنهم مجموعة مرضية جداً.

ـ طبعاً كاثرين.. لكن حتى الطف الرجال قد ينظر إليك نظرة مختلفة حين تستبد به نشوة الموسيقى. وزوجاتهم تعرفن كيف تتدبرن أمرهم.. أما أنت فلا.. وكان على ستانلي أن يكون حكيماً أكثر.. وأنت كذلك. أتساءل متعجباً كيف نجوت طوال هذا الوقت دون وجود من يرعاك!

أحست أن معه الحق أن يغضب قليلاً، لكنها قالت:

ـ لن تقول ستانلي شيئاً؟ لا أريد أن يظن أنني الومه على أي شيء.

ـ بكل تأكيد سيكون لي شأن معه.

ـ أرجوك؟

ـ كم تتوسلين بحلاوة كاثرين.. ويؤلمني أن يبقى ردي الرفض.

صمتت بتعاسة، وعليها أن تتقبل منه ما يتقبله الجميع:

ـ أنت الرئيس.. كما اعتقد.

ـ لا تشكي في هذا مطلقاً.. سيدتي!

كيف يمكن لها أن تشك وهو يقف إلى جانبها ملياً شامخاً كقمم نيو انغلند! وساد صمت مطبق وهو يقودها عبر زاوية مظلمة... لا تستطيع منع أفكارها عن التمركز عليه، وكانت تعلم أن اليوم ليس ببعيد حين تضطر لأن تخبره الحقيقة!

سرعان ما اذهلها بالإطراء:

www.elromancia.com

- تعرفين بمهارة وجوده كاثرين، هل تغنين لي لوحدي في أحد الليالي؟

- الأفضل أن لا أفعل.

توقف عند السياج الأبيض قرب المنزل، ولم تجد بداً من الوقوف إلى جانبه.. فجأة تنامى إلى سمعها عواء ذئب.. فاقتربت من ماثيو بخفة برعب.. وقالت:

- لقد اجفلني أكثر مما ارعبني.

لف ذراعه مطمئناً على كتفيها:

- هذا مقعول.

ولم يسحب ذراعه، ولامست بسمة ساخرة شفتيه، وهو يستدير نحوها:

- انت جذابة جداً كاثرين.. وهذا ما اخبرتك إياه من قبل.. ربما فكرت بأن تسلي الرجال قليلاً.. لكن في المرة القادمة تقدمين لهم عرضاً انصحك بارتداء شيء أكثر بهرجة من هذا.

- انت.. انت متوحش!

يبدو أنه دائماً ينجح في إفساد الأمور عليها. وقد تقسم أنه يفعل هذا متعمداً، وصاحت به:

- لم يكن لدي ملابس كثيرة لاختار منها. ولا أستطيع الذهاب بالجينز! ثم انك تجعل الأمور تبدو أسوأ مما هي حقاً.. كثير من الفتيات يخرجن للسهر في ثياب أقل مما ارتدي بكثير.

- اوه.. اجل.. نسيت وضع خزانة ملابسك التعيس..

أنا مسافر إلى ملبورن في الغد.. فإذا كنت تفكرين بالعودة إلى بلادك، فلماذا لا تأتين معي لتتفرجي على المدينة قبل أن أضعك على طائرة لتعودي.

- لا!.. اعني.. هل تمانع لو بقينا هنا أياماً أخرى؟ اليكس يبدو أحسن صحة بكثير.

- لكن ليس أنت.. كاثرين.

- ماذا تعني..؟

- يومياً تزدادين تعباً.. أحياناً اقتنع أن في أفكارك أشياء أكثر مما تكشفين... اعتقدت أولاً أن هذا بسبب تغيير الجو عليك.. لكن اذا رغبت في البقاء، فهذا عائد لك.

بدا كلامه لطيفاً مؤدباً لكن مكبوتاً. وكأن هذا ما لا يريده اطلاقاً، الآن على الأقل. لكن الوقت متأخر في هذه الساعة، والظروف ضد أي تساؤل حول هذا.. كيف لها أن تعترف له أن لا مال لديها لتذكره واحدة للعودة.. فكيف باثنتين؟ حين يعود من سفره إلى ملبورن يجب أن تبسط خطتها امامه.. وبالتأكيد لن يرميهما في الشارع؟ وقد تعد بأن تغادر لتجد لها وظيفة بعد أن يستقر مستقبل اليكس.

وسمعته يقول يقطع أفكارها:

- قد أعود بزوجة أبي معي، وايملي كذلك، فقد تكون راغبة في رؤية كريس.

وهذا يعني أن تلتزم حدها! تلقت الرسالة واضحة! مع ذلك أحست بجاذبيته بالرغم من قساوته.. لم يجب أن يشابه

محبوبها بلاك، ذلك الذي في الصورة.. بينما الحقيقة القاسية أن أمامها رجل يعتبرها غريبة، ويتمنى الخلاص منها!

- كاثرين.. حين انظر إليك. اشعر بشيء بدائي يتحرك في نفسي.. أتظني أنني لا أرغب في أن آخذك إلى مكان لا يجدنا أحد فيه؟

علقت أنفاسها في حنجرتها لمجرد التفكير بهذا!

- لن ادعك تفعل!

- اوه.. بداية قد تصرخين احتجاجاً.. لكن ليس لوقت طويل..

إنه يحاول إثارتها، ربما للعقاب بسبب مشاركتها بالحفل وتسلية الرجال.. أو ربما لرفضها السفر معه إلى ملبرون. ويجب أن تتجاهله.

- اظن أن عليّ الدخول الآن. فهل ستسافر قبل أن استيقظ في الصباح؟

- أتوقع هذا.. آنسة هايلاند.. وبينما أنا غائب، من الأفضل أن تفكري برغباتك المتضاربة قليلاً.. فسماع كلامك يجعلني اعتقد أنك ستتمسكين بفرصة الهرب من المزرعة ومني.. مع ذلك.. ها أنت تبدين متمسكة بالبقاء.. وسأعود كاثرين.. دون أي شك!

- ارجوك.. لا أظن أياً منا سيستفيد من هذا الحديث.

- من رأيي أن دم الجنوب الحار الذي يجري في عروقك، من أمك يغزو جسدك الطاهر.. لكن برودة دم استال تتحكم

في رأسك. وتأكدي تماماً كاثرين، لو جرت معركة بين الاثنين سينتصر الجنوب.

صاحت ساخطة:

- ماثيو بلاك.. أنا ابنة عمك!

ضحك حتى برقت أسنانه البيضاء أمام سحرة وجهه:

- هذا كله هراء!

- اذن أنت لا تصدقني؟

رد بسخرية:

- بل أصدق! لكن هذا كان في البداية، وهو زمن بعيد بعيد لايضع أية عراقيل بيننا.

مد يده فجأة ليشدها إليه، بينما كان نور القمر يتراقص فوق كتفيه العريضين. ثم اقترب رأسه منها ليحجب عنها ضوء القمر، يتركها في ظلام ارعبها. وخطفها إليه أكثر، يحنيها قليلاً إلى الوراء، متجاهلاً احتجاجها المختنق إزاء صدره، طلباً للرحمة، حين اطبقت ذراعاه الفولاذية على جسدها النحيل الهش. واحست بالألم.. لكن مع الألم كان هناك نار وكأنها الحمم البركانية السائلة تجري في عروقها. وبدت غير قادرة على أية مقاومة.. وكأنما يمارس كل قدراته على السيطرة.. ويعجز كامل طغت فوق حد من المشاعر حتى تغلبت على كل شيء.

حين تركها، لم تكن قادرة سوى على التحديق به للحظات بدت لها ساعات. ولم يبدو عليه أنه مستعجل لشيء سوى أن يرد على نظرتها. مع أن نظرته المهددة لها كانت تختلف في

طبيعتها عن نظرته. وامتدت يده برقة لترجع خصلة شعر انسدلت على وجهها:

ـ اظنك كاثرين، عاودت العناق، ستعترفي أنك ستنتظري عودتي بفارغ الصبر.

خوفها لم تكن واثقة أكان من ماثيو أم من نفسها.. ولم تستطع إخراج الكلمات، فالكلمات صعبة حين يكون المرء مشوش الذهن. فكرة واحدة كانت واضحة أمامها.. لن تتحمل أبداً الخصام معه!

أدركت أنها لا يمكن أن تلام حين حضر كريس لاثيون لزيارتها في اليوم التالي. لكنها لم تعرف لماذا هذا الإحساس بالذنب، وكأن ماثيو تواجد فجأة إلى جانبها يوبخها، ففزت واقفة:

ـ ماثيو ليس هنا!

ابتسم كريس:

ـ اعرف.. وقررت أن أزورك لاسليك في وحدتك.

ـ سافر ماثيو إلى ملبورن، وعلى الأرجح سيعود بشقيقته معه.. اعتقد أنها صديقة مميزة لك.

ـ هذا أمر محتم، لو علمت أننا نعرف بعضنا من المهد. وهذا ما يظنه الجميع.. لكنها محكومة جداً من أمها وأخيها. ولا أظن أنهما سمحا لها مطلقاً بالتفكير في مشاعرها الخاصة.

دهشت كاثي حين سمعت نفسها تسأله:

ـ ألا تظن الفتيات من هذا النوع قد يكن أفضل الزوجات؟

ـ لماثيو، ربما. فهو دائماً يحب أن يكون من فوق.. لكنني شخصياً أفضل من لها سلطة أكثر.. لا تسيئي فهمي.. فمن وجهة نظري، زوجتي يجب أن تكون قادرة على مساعدتي.. وأنا في الواقع بحاجة إلى فتاة لها روحك المستقلة، حتى لا تترك لي المجال لأنسى أن ورائي عملاً.

ـ وهل أبدو لك ضابطة نظام؟

هذا ليس بالضبط غزلاً.. وسرعان ما تراجع:

ـ بالطبع لا! ما أقصده أن لك شجاعة كبيرة.. وماثيو يحطم فتاة مثلك، بينما أنا قد اشجعك. غالباً ما اتلهف لوجود من تستطيع تخفيف حمل عن كتفيّ.. ألا تفهمي هذا؟

انها تفهم.. وبوضوح شديد.. كريس لاوثون قد يكون ثرياً نسبياً.. لكنه ضعيف.. وهو يريد زوجة تُعنى به، لا العكس. زوجة مستعده لملاحقته، واعطاءه كل الراحة.. فقالت:

ـ ربما تكون مخطئاً بشأن ايملي.. اعني لو أن أمها وأخيها قاسيان لهذه الدرجة، فلا بد أن فيها شيئاً منهما.. ربما مر زمن طويل لم تنظر إليها بجد؟

* * *

- ٦ -

الاغواء

سألها كريس ساخراً:

ـ والآن هل ستدعيني إلى العشاء أم أعود إلى البيت جائعاً؟

لم يكن في مقدورها، ولا من مركزها، أن تدعوه، وقالت له هذا: مع ذلك قالت أنها ستسأل السيدة جبسن إذا كان بالإمكان تقديم وجبة لثلاثة.. حين اجابت السيدة بالإيجاب، أحست كاثي بالهزيمة.. على كل الأحوال.. في غياب ماثيو.. أليست السيدة جبسن هي المسؤولة؟

وحصلت كاثي على الرفقة خلال الأيام التالية، فقد أخذ كريس يزور المزرعة بانتظام. وكأنما يعتبر من واجبه أن يسليها في غياب ماثيو. مرتين أخذها واليكس في شاحنته الصغيرة إلى سفوح الجبل، وسبح الجميع مرة في البحيرة. في هذه المناسبات أخذت كاثي معها طعاماً حضرته لهم السيدة جبسن. وحين انضمت إلى اليكس وكريس في ماء البحيرة.. كانت

ترتدي ثوب سباحة مختصر، خيطته بنفسها من قطعة قماش صغيرة، قدمتها لها كذلك مدبرة المنزل.. التي كانت تبدو راضية مطيعة حين يكون كريس موجوداً، وكأنما تقوم ما في وسعها لجمعهما معاً.

لكنها كانت مقتنعة أنها سخيفة تتخيل الأشياء، إلى أن لحقت به فجأة في أحد الأمسيات بعد العشاء وهو يحضر القهوة في المطبخ لتسمع السيدة جبسن تقول له أن الفتاة الانكليزية تهواه كثيراً. ورد كريس: أنا واثق أنك مخطئة سيدة جبسن! دفع بكاثي للتراجع بسرعة مبتعده قبل أن يعرف أي منهما أنها سمعتهما. في نفس الأمسية، بقي كريس ساهراً أكثر من عادته.. وأراد أن يعانقها قبل ذهابه، وكان عليها الجهد الكثير لإقناعه أنها لا تشاركه رغباته.

وابعدته عنها بابتسامة.. لكن حتى وهو يتقبل أمر صرفه عنها همس لها شيئاً عن مرة قادمة.. لكن كاثي كانت مصممة على أن لا يكون هناك مرة قادمة، وهي تودعه بجفاء.

كان هذا الليلة قبل الماضية.. واليوم عاد.. يتوسل اليها أن تسامحه وتخرج معه للسباحة.. ولأن اليوم هو يوم آخر، ولأنها كانت تحس بالطيش، وافقت معه.. من المطبخ، جمعت بعض الطعام والمرطبات وذهبت معه إلى البحيرة. ولم تكن واثقة أنها ستسبح، ففي آخر لحظة قرر اليكس الذهاب مع ستانلي، وأحست كاثي أنها بمجيئها لوحدها مع كريس ستغضب ماثيو كثيراً..

لكن حرارة بعد الظهر، وسحر البحيرة هزما عزيمتها.. ومع ندمها على صغر حجم ثوب السباحة إلا أنها خلعت ملابسها خلف أجمة وارتدته.. ودون النظر إلى حيث كان كريس متمدداً.. قفزت إلى الماء.. وشقت الماء بسعادة نحو جزيرة صغيرة على بعد بضعة مئات من الأمتار عن الشاطيء.. البحيرة في بعض أجزائها، كانت محاطة بالأعشاب المائية والقصب، والعشب الأبيض، وبعض من الأنواع الطائفة فوق الماء. كما قال لها ماثيو يوماً، إن هذا مكان مثالي لأعشاش البط في الربيع.

سرعان ما لحق بها كريس إلى الجزيرة الصغيرة، وأدركت أنها ارتكبت غلطة فادحة بالمجيء إلى هنا. فخلال الساعة التي جلسا فيها فوق الرمال قرب الشاحنة بالكاد القى بالاً لها.. لكن بمجيئها إلى الجزيرة، يبدو وكأنها أصدرت له دعوة.

وللأسف، لم يكن من السهل صرف نظره عنها. فقد امتدت يده لتحيط خصرها، ويجيء بها إليه تماماً.. أوه.. لا... لا يمكن لهذا الأمر أن يتمادى إلى هذه الدرجة.. ويخرج من يدها! انها لا تحبه.. ولا تريده حتى أن يلامسها.. ونظرت إلى يده على ذراعها، وهو يكرر غزله في أذنها.. اوه.. ماذا.. ماذا سيقول ماثيو لو عرف؟ وماذا عن إيملي؟ ألن يفسد هذا كل شيء للجميع؟

لا بد أن شيئاً من مشاعرها، رشح إليه.. فقال بشراسة:

ـ لا حاجة لدهشتك هكذا عزيزتي لقد كنت مسرورة من

رفقتي مؤخراً.. وسأعتني بك.. لست ذلك الرجل الذي قد يعجبك، اعلم هذا. لكن لدي المال، واستطيع اعالتك.. إذا كان هذا ما تودين معرفته. وأعتقد أن الأمور تجري هكذا في انكلترا.

ابتسمت كاثي، تقريباً:

ـ لا أظن أننا في انكلترا مرتزقات لهذه الدرجة.. آسفة كريس.. لا يمكنني الزواج منك.

ـ ولماذا؟

ـ لن ينجح..

حاولت الخلاص من قبضته، وكأنما تأثير رفضها صدمه، فتركها.. ولو استطاعت الوصول إلى الماء، فستهزمه حتماً في الوصول إلى الجهة الأخرى.. وربما لو ارتدت ملابسها فستبرد عزيمته.. ولن تعود معرضة للخطر. وسيصبح أكثر استعداداً للاصغاء إلى التعقل. وقد تقنعه أنها لا تشعر نحوه بشيء.. وأحست بالخجل لأن الموقف هنا، وبعرضها لجسدها هكذا، قد أثر على تفكيره.

على وشك البدء بالركض إلى الماء، أمسك بها، فأحست بالقنوط. وهو يضحك حين فهم ما تريد أن تفعل وقال لها متمتماً وقد اشتدت ذراعاه حولها:

ـ كل الفتيات بحاجة لاقناع.. ما أن اعانقك جيداً حتى تطلبين المزيد.

مهما قاومته بشراسة، كان من المستحيل أن تتجنب ذراعاه

حولها، ولو أنهما ليستا بقوة ذراعي ماثيو، إلا أنهما مصممتان على أن لا تتركاها تهرب.. وارتفعت دقات قلبها إلى رنين، والرنين إلى صراخ. صراخ فيه الفزع واليأس وكأنه دمدمة الرعد الأسود! فجأة احسته يبعدها عنه، يشتم ويلعن بصوت هامس، وأمام عينيها المرتعدتين على الضفة الأخرى يقف بلاك ساخراً!

لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً؟ ربما هو خيال؟ أم أن توتر اللحظات هذه خلق لديها نوعاً من الهلوسة؟ مثل هذه الأشياء تحصل عادة.. وتمسكت دون وعي بكريس.

- من هذا؟

- انه ماثيو!

- ماثيو؟

من السهل جداً على ماثيو تصور أنهما كانا على وشك علاقة ما. ونسي كريس أنه ممسك بها، وحين تحركت لم يفعل شيئاً لمنعها بل قال بنفاذ صبر، وتوتر:

- من الأفضل أن نعود لنرى ماذا يريد. لكن لا تنسي أنا موجود دائماً إذا غيرت رأيك.

- آسفة جداً كريس.

كانت هذه أخر كلمات قبل أنْ تجد نفسها تقف أمام ماثيو.. الماء يقطر من شعرها المبلل، لتدخل إلى ثوب السباحة الذي أخذ بدوره يرشح إلى الأرض. فقال لها ساخراً:

- إذن.. هكذا تمضين وقتك في غيابي! ومن المثير للاهتمام رؤية مدى تأثير كريس عليك.. انصحك بأن ترتدي ثيابك

بسرعة.. فلن أعيدك إلى المنزل نصف عارية!

حين وصل كريس إلى الشاطيء وجه له ماثيو كلامه القارس:

- مساء الخير كريس.. إيملي بانتظارك في المنزل.

للحظات بدا كريس محبطاً، كما لا بد كان يقصد ماثيو.. ثم ضحك.

- لم أتوقع رؤيتك قريباً هكذا ماثيو.. وسيكون من الجيد أن أرى ايملي.

- من الأفضل أن تفعل هذا..

والتفت إلى كاثي:

- باستطاعتك اللحاق بنا في السيارة الثانية، بعد أن تضعي ملابساً لائقة على جسدك!

- بل سأنتظر لأعيد كاثي بنفسي. فأنا من جاء بها إلى هنا.

رد ماثيو بسخرية:

- هذا ما يبدو.. لكنني لا زلت أظن أنك مدين لإيملي بأن تأتي فوراً.

أجاب كريس:

- قد تكون محقاً.. لكنني لن أترك كاثي.

استدار ماثيو يصيح بكاثي آمراً:

- تحركي إذن! سأعطيك دقيقتين فقط!

لم يوجه لها أحد الكلام بمثل هذه الطريقة من قبل.. وأحست فجأة برغبة مجنونة لتصفع وجهه المتعجرف الوسيم..

www.elromancia.com

وبجهد كبير استدارت إلى كريس.

- استطيع قيادة السيارة بنفسي.. في الواقع أفضّل هذا.

وسارعت إلى الأجمة حيث ملابسها تصلي:

- أرجوك يا الله! لا تدعه يكرهني هكذا! أرجوك لا تدعه يصدق ما رأى..

في المزرعة ادخلها ماثيو إلى المنزل بسرعة، ولحق بهما كريس.. وهمست بصوت جاف:

- سأصعد إلى غرفتي.

امتدت يده بقساوة لمنعها:

- لا! ستأتين معي. لا تقلقي على مظهرك، تبدين في العاشرة من عمرك.. ما عدا..

وتطلع إلى جسدها بسخرية وهو يقودها إلى غرفة الجلوس.. ووجدت زوجة أبيه ليست مخيفة كما توقعت. وإيملي كذلك كانت مفاجأة لها. كانت فتاة صغيرة الجسم لكن دون تناسب جسد كاثي ونحوله؛ لكنها بدت ناعمة جذابة عيناها مليتتان، دون أدنى شك، بإعجاب غير خفي حين شاهدت كريس.. واضح أنها تحبه، وستحس بصدمة سيئة لو أن شيئاً أزعج مخططها.

بالكاد دخل كريس الباب، حتى رمت ايملي نفسها بين ذراعيه تعانقه بشوق، لم يبدو عليه أنه يشاركها به.. بينما نظر من فوق رأسها إلى كاثي وكأنه يعتذر. تجاهل ماثيو ما يحصل، وكأنه راغب في اعطائهما الوقت الكافي معاً، وشد كاثرين

ليقدمها إلى زوجة أبيه.

ليس من المبالغة القول أن السيدة بلاك أجفلت لرؤية جمال كاثرين الأبيض الشاحب، والذي كان يشع بوضوح، حتى من خلال تشعث مظهرها. فاحتدت نظراتها لتصبح أكثر قساوة من نظرات ابن زوجها، وقالت:

- شرح لنا ماثيو كل شيء عنك عزيزتي.. وجذورك الممتدة إلى نفس أسلافه تثير فضولي!

مدت كاثي يدها، تعي تماماً أن المرأة لم تعطها موافقتها بعد. فهي تنظر إلى وصولها مع كريس نظرة فهم كامل. وتذكرت تحذير ماثيو بأنها لا تتسامح مطلقاً مع أي تهديد لسعادة ابنتها..

مع أن ابتسامة ايملي كانت أكثر دفئاً من ابتسامة أمها، مع أنها ارتبكت كثيراً حين شاهدت كريس إلى جانب كاثي.. سرعان ما اعتذرت لتغير ملابسها استعداداً للعشاء، فالسيدتان مرتديتان ملابسهما.. وبقاء كريس للعشاء أمر مسلم به.

طوال وقت ارتداء ملابسها كانت أفكارها تعود إلى حادثة الجزيرة.. وادركت أن كل نظرتها القوية للرجال لا زالت قائمة. لكن معه لم يكن الأمر مثل أولئك الرجال الذين التقتهم خلال عملها، لكن في أعماقها، لا زالت لا تريد أن يلمسها أحد. على الجزيرة طلب منها الزواج، وهذا سيثبت أن غرضه شريف. ولو أن الزواج به أمر لن تتمكن من مجرد التفكير فيه، فهي لا تحبه وهو لايملي.

نزلت مع اليكس معاً حين بدأت الظلال المعتمة تتسرب إلى المروج، ببدء تسلل الشمس وراء الجبال الشاخة، وأخذ اليكس يتحدث إليها بسعادة حول الجياد البرية التي أخذه ستاتلي ليشاهدها. ولم يكن لحسن الحظ، مدرك لما مر بأخته من وقت عصيب بعد ظهر ذلك اليوم.

اعجبت ايملي على الفور باليكس، حتى أن عيني أمها فقدت شيئاً من قساوتها وهي تنظر إليه، باستحسان أكثر من استحسانها لشقيقته. ومع ذلك كانت ايلمي لطيفة معها بطريقة محافظة، لكن معظم اهتمام ايملي كان لكريس، الذي بالكاد غادرت جانبه.

بعد العشاء، تركهم اليكس لينام فتناولوا القهوة في غرفة الجلوس، ولخيبة أمل كاثي، ترك كريس جانب ايملي ليجلس قربها. طوال تناول القهوة كانت تعي نظرته وتحس أنها لا تعجب ايملي. حتى أنه وضع ذراعه خلفها على ظهر الأريكة. وكان أحياناً يخفض ذراعه إلى كتفها ولو استطاعت لاعتذرت وذهبت إلى النوم. لكن الساعة لم تكن قد تجاوزت بعد التاسعة، ولا عذر لها.

أخيراً.. دونما عجب، قلقت ايملي، وغشت عينيها سحابة ارتياب، فوقفت تسير مرتبكة إلى النافذة، ثم استدارت بسرعة، عابسة تحدق بالاثنين الجالسين على الأريكة. على الفور أحس ماثيو ببوادر الأزمة، فقال:

- لا بد أنك نسيت كريس.. لكن هناك سيارتك لا زالت

عند البحيرة. ونسيت أن أذكرها للرجال، ومن الأفضل أن نحضرها بأنفسنا.

- اوه.. يا الله.. اجل.. جيد منك أن تتذكر. أعتقد أنني سأحتاج إليها.

ابتهج وجه ايملي.

- اعتقد أنني سأذهب معكما وكاثي.. بإمكان كاثي تسلية ماثيو، بينما أجلس وإياك في الخلف.

اجفلت كاثي لذكر البحيرة، وأحست بالتكدر لما حدث في الجزيرة، كذلك غضب ماثيو.. فقالت:

- سأبقى مع والدتك ايملي.. أو سأذهب إلى الفراش. الساعة تقارب العاشرة، وأحس بالتعب.

رد ماثيو:

- لا يمكن التسامح مع التعب في مثل سنك كاثي.. فالليل دافيء، ولا عذر لك. وإذا كنت تظنين أنني سأخاطر لوحدي صامتاً بينما هذين الاثنين لا يصغيان إلا لبعضهما.. ففكري ثانية!

لماذا دائماً يفسد الأمور؟ وقالت محتجة:

- المسافة لا تبعد بضعة أميال.

- وهذا سبب آخر موجوب ذهابك معنا.

اكمل وهو يسير إلى جانبها يلحق بهما كريس وإيملي:

- أيجب أن تتظاهري بالغباء!

- حتى ولو لم أكن معكم ليجلسا لوحدهما في الخلف!

- لست أنوي أن أعرّض نفسي للحرج معهما..

- لم أرغب في العودة إلى البحيرة الليلة!

- احياناً من الأفضل جداً أن يعود المرء على الفور إلى مسرح الجريمة. لينظر إلى حماقته.. فهذا ينقذه من ارتكاب نفس الغلطة مرة أخرى. يجب أن يدخل في رأسك الحلو كاثرين، أن كريس ليس لك! اتساءل كم يستغرق من وقت لأخرج هذه الأفكار الرومانسية التي وضعها كريس خلال أسبوع في رأسك؟

صمتت كاثي، بجهد كبير، ولم يضغط ماثيو للحصول على رد. كيف تستطيع أن تشرح له أنها فجأة لا تطيق ذكر رجل آخر وهي معه! وقاد السيارة دون هوادة عبر الظلمة التي يتخللها نور القمر.. حين وضع ذراعه على كتفيها وجذبها إليه متعمدً، ارتبكت لدرجة لم تستطع معها الابتعاد، ايعني هذا إظهار أسفه لفقده أعصابه معها.. ويريد التعويض! أم أن هذا فقط للتأثير على كريس؟

حين وصلوا البحيرة، ظنت كاثي أنهم سيعودوا فوراً إلى المزرعة. لكن ايملي اقترحت أن يدوروا حولها في ضوء القمر. فهز ماثيو رأسه موافقاً. وأحست فجأة أنها وقعت في فخه مرة أخرى، دون أن تتاح لها أية فرصة. وقال لها:

- قليل من الهواء النقي سيساعدك على النوم كاثرين.. بينما يتمشى هذان الاثنان ليقصّا لبعضهما ما عندهما من أخبار، سأريك منظر للمزرعة لن تنسيه مطلقاً. وبما أنك زائرة لدينا

فنحن مدينون لك بهذا.

بوصولها إلى هذا الوقت من يوم مضني، لم تعد تشعر بقوة للجدال. ومنظر من فوق تل، أمر مرحب به.. لكن غريزة سوداء فيها حذرتها أن هذا مجرد واجهة.. لكن لن يضيرها أن تكمل لعبتها معه. لكن كريس سرعان ما اعترض مما زاد ماثيو تصميماً، فضحك بسخرية وأمسك بذراع كاثي مبتعداً:

- أراكما فيما بعد إذن.

حين تجاوزا جذوع أشجار كثيرة مكومة قال لها:

- هذه تأتي مع السيل خلال العواصف.

- في الشتاء؟

- طبعاً.. الشتاء في هذه المناطق.. شيء ليس له مثيل.. عادة يغطي الثلج هذه المرتفعات.. والشفقة على الرجل الذي لا زوجة له تدفئه، يا فتاتي.

- لرجل مثلك، هذه ليست مشكلة.

التوى فمه عند زاويتيه:

- الطرقات تقفل لأسابيع. ويصبح المنزل دافئاً حميماً، إذا كانت الصحة مناسبة.

- وكيف تتمكنون من مغادرة المزرعة؟

- بالهيلكوبتر عادة...

- إذن.. لا تنعزلون تماماً.

- لا.. لكننا نقلق دائماً من أن ننعزل.. يبدو عليك الاهتمام بهذا كاثرين؟

لا يمكنه أن يشك فيما تفكر به؟

ـ من الطبيعي أن أهتم.

فابتسم بسخرية، بدت رداً يكفي، وحاولت الإسراع إلى فوق لوضع المزيد من المسافة بينها وبينه.. أول السفوح امتد مستقيماً أمامها.. واحست بالامتنان لنجاحها.. لكن بالرغم من محاولتها الحثيثة، لم تبتعد عنه أكثر من خطوة.. ودون أن تعرف السبب وجدت نفسها تسأل:

ـ لماذا لم نبقى مع الآخرين؟ ألن يبدو هذا ودياً أكثر؟

رد بخشونة:

ـ ألا زلت تتوقين إلى ما لن تحصلي عليه؟

ـ ماذا تقصد؟

ـ كريس.

انفجرت بوجهه يائسة:

ـ لأجل السماء! لكنه يصدق أنه يحبني!

ـ أنت تصدقين هذا حقاً.. وبعد أقل من أسبوع؟

ـ معروف أن هناك من وقع في الحب في مدة أقل بكثير.. ومن أول نظرة.

ـ ما عدا الرغبة.. ما الذي يجعلك تظنين أنك مؤهلة لأعطاء هذه الملاحظة؟

اجفلها رده، وأدركت فجأة أن معه حق فيما يختص بكريس:

ـ لا.. معك حق.. ما يحس به نحوي مجرد انجذاب.

وهي ترتجف عاودها توترها تجاه الرجال، فسارعت خطاها المتعثرة، دون أن تجرؤ على متابعة التفكير، فوصلت القمة قبله بقليل، مع علمها أن هذا لأنه يتمهل. بوقوفها في وجه الريح الخفيف، التصقت تنورتها بساقيها، وتعلقت بلوزتها الدقيقة بحنايا جسدها النحيل، وارتفع شعرها متطايراً، لكن المنظر أمامها كان يسلب اللب حتى أنها لم تفكر بكل هذا..

عبر فجوة بين الأشجار رأت من بعيد.. البناء الأبيض المتسع للمنزل، تحيط به بقية المباني الملحقة به.. وتنتشر أمامه ووراءه، إلى ما يصل أسفل التلال البراري المظللة بالفضة المنبعثة من نور القمر، وكأنها الفضاء الذي لا حدود له.. بوقوفها هناك.. أحست أنها بعيدة إلى فوق.. كالقمر.

وتنهدت الريح عبر قمم الصنوبر الضخم العتيق، ثم ساد الصمت.. صمت، عميق، برّي، مليء بالعطور التي تحرك الروح.. ولاحظت من بعيد انعكاس جبال نيوانغلند.. فأحست فجأة بمدى ضئالتها.

* * *

- ٧ -

السير فوق حبل مشدود

جاءت انفاسه حادة على أذنها وهو يقترب خلفها ويسأل:

- حسناً ما رأيك بهذا؟

حاولت الرد على سؤاله بكل الصدق:

- إنه جميل.. لا.. ليس من خارج هذا العالم أعني.. إنه يشبه المناظر في اسكتلندا، لكن على مساحة أكبر بكثير. لست أجد الكلمات المناسبة، ولا أريدها أن تكون اصطناعية.

حاولت الابتعاد عنه قليلاً:

- أظن أن علينا العودة.. كريس..

كانت ستكمل وايملي.. لكنه أدارها بقوة لتقف الكلمات في حنجرتها، وقاطعها ببرود:

- أنت لا تستسلمين مطلقاً.. أليس كذلك؟ لم يبق لي إلا أن انتزع كل فكرة عنه من رأسك الجميل.

صاحت به:

- لا!

لكن صوتها لم يكن حاجزاً قوياً يحميها، فقد لف ذراعيه حولها من وراءها وضمها إليه وأخذت يده تعبث بالشعر البرّاق تحت ضوء القمر، يشده بلطف إلى أن تراجع رأسها إلى الوراء واستند إلى كتفه ليطل وجهها أمام عينيه. وأخذت اصابعه تمر على زوايا خديها ورفع ذقنها المرتجف.. كانت قبضته حولها محكمة بحيث لم يترك مجالاً لها للمقاومة الجسدية. فاسترخت بضعف عليه. عندها فقط خفف ضغط ذراعيه.

سمعت كائي صوت غناء في أذنيها، وكأنها نغمات اللهب الذي بدأ يتشر ويتحول إلى نار متأججة تشتعل داخلها.. قلبها كان يضرب بسرعة مؤلمة، والحرارة بدأت تتزايد بشكل خطر.. لكن، حتى بوجود الخطر بالكاد كانت تعيه. وكان يجب أن تقاومه، لكن تقربه هذا منها، سلبها كل دفاع.. وما أرادت إلا أن تكون أقرب. فالتفتت ببطء وارتفعت ذراعيها لتلتفا حول رأسه، أصابعها تشد على شعره بنفس القوة والإلحاح الذي مارسه على شعرها.. ولن تفهم مطلقاً، لماذا تتعلق به هكذا.. لكنها فجأة لم تعد تكترث.

تلاعب الريح بشعرها الكثيف اللماع ليرجعه عن مؤخرة عنقها. يكشف حدود رأسها الناصع البياض.. برودة تلك النسمة اعادت لرأسها قليلاً من التعقل.. أصحيح أنها تضع نفسها في مثل هذا الموقف المتهور؟

www.elromancia.com

همست بصوت متكسر:

- ماثيو.. يجب أن تتركني.

- سأكون ملعوناً لو فعلت.. احب ملمسك بين ذراعي، ولا تحاولي اقناعي أنك لست تهتمين!

- لا.. لكن هذا لا يعني...

- توقفي عن الكلام.

لف شعرها بيده ليصبح كحبل حريري، وشدها إليه أكثر. فأخذت ترتجف كأغصان السرو التي يقفان تحتها.. لكنها تراجعت عنه قليلاً، لتنظر إليه نظرة طفولية مندوخة، ليس فيها شيء طفولي اطلاقاً.

بارتداد ذراعيه إلى الخلف، نفوره منها كان أقسى عليها من قساوته.. نظرتها المأساوية المتسائلة انتزعت منه رداً بالرغم عنه:

- قد يكون هذا ممتعاً كاثرين.. لكن.. قد يقود إلى نتائج معقدة.. أنت تتملكين برأس الرجل كرائحة العطر دون أن يستطيع منعك.. ربما هذا عائد إلى الدم الفرنسي الذي فيك.. ولن أعرف معك الحدود التي يجب أن أتوقف عندها.. وقد يسليك أن تعرفي أنني اكتشفت هذا لتوي.

استدارت بعيداً بغضب أعمى.. أهو محق؟ لم تصل من قبل لأن تعرف مدى عمق مشاعرها ولا طبيعتها.. على كل الأحوال، هذه أول مرة يعانقها فيها رجل هكذا. آخرون

حاولوا، لكنها لم تسمح لأحد منهم بالاقتراب منها كثيراً. وهو الأول، مع أنه لن يصدق هذا..

ما بين كريس وماثيو كانت كاثي تحس كمن يسير فوق حبل مشدود، فوق كارثة.. والسيدة بلاك تنتظر كالقطة الشريرة في الأسفل، تتوقع وقوعهما بسعادة. هذا الاستعراض قد يدوم وقتاً أطول مع ماثيو، لكن لو سافرت الأم وابنتها ثانية.. فلن يعود الأمر هكذا.

منذ ليلة قمة التل، لم يكن ماثيو ودوداً نحوها، حتى أنها تساءلت ما إذا كان نفس الرجل الذي عانقها بكل ذلك الشوق الملّح.. ولا بد أن ايملي كانت تسرّ لها بريبتها فيها وبكريس، ولمزاجه السيىء، لا بد أنه صدقها. شيء واحد أوضحه تماماً.. تعاطفه لم يعد مع كاثي.. بل أن برودة نحوها كان يتزايد، حتى أحست أنها لن تستطيع الاحتمال.. ولو عرفت سبب هذا البرود.

كانت دائماً لشدة اضطرابها تقع في الأخطاء، لكنها أخطاء لم يكن يلحظها سوى ماثيو.. فتسارع لتغطيتها بالعزف على البيانو.. لكنها ليلة، وهي تعزف، رفعت رأسها لتجد كريس يحدق بها بافتتان، فابتسمت ولم تعن هذه النظرة ايملي التي بدت فوراً على استعداد للبكاء.

بسرعة، وقف ماثيو وأصبح قرب البيانو.. يلف يده حول خصر كاثي النحيل.

- إذا كانت الحفلة الموسيقية انتهت، فكاثرين وأنا ستتمنى لكم ليلة سعيدة.. لدينا أشياء نبحثها.. ولن يكون معي وقت في الصباح.. يجب أن تعذرونا.

جذب كاثي إلى قدميها وأخرجها من الغرفة حيث قالت له بسرعة:

- إلى أين تأخذني؟

- إلى مكان لا يقاطعنا فيه أحد.. ولا يسمعنا.. أيجب أن تبدي الاحتجاج؟

- ألا ينفع الغد؟ يومنا كان مرهقاً.

- الغد لا يأتي أبداً كاثرين.. ولا تبدأي التفتيش في رأسك الجميل عن «كليشيه» تعارضني، فصبري ينفذ بسرعة!

أخذها إلى مكتبته، في مؤخرة المنزل، لم تأتي كاثي إلى هنا سوى مرة واحدة. وهناك الكثير من أرجاء المنزل، لم تكن تعرفه جيداً جداً. فهو لم يشجعها حقاً على الاستكشاف. ولا يبدو الآن أنه سيدعوها لفعل أي شيء من هذا!

أغلق باب المكتبة وراءهما.. كان حوله نوع من الجو الغاضب المكبوت.. كانا لوحدهما، وهذه الغرفة الضخمة بعيدة جداً عن بقية أجزاء المنزل. ولهذا السبب يعمل ماثيو دائماً هنا ويتمتع بالخلوة.. ووجدت نفسها ترتجف حين التفت وتقدم نحو طاولته.. فسألته:

- هل أزعجك عزفي على البيانو؟

- لا.. لم أتوقع منك التفكير بأن تعيشي من وراء هذا. كان مثل كل ما تفعليه، مثير للنظر. وأظن عزفك الصاخب لم يكن سوى رد فعل لأفكارك المتشوشة.

- أفكاري المتشوشة؟

التمتعت عيناه الزرقاوين بشكل خطير:

- لا تثيري أعصابي كاثرين.. أما آن لنا أن نتصارح؟ جئت إلى هنا لبضع ليال وها قد مر عليك أسابيع. وعرضت عليك الذهاب معي إلى ملبورن ورفضتي.. ولا أريد أن أبدو غير مضياف.. لكن لم يعد من المناسب لك البقاء هنا أكثر من هذا.

- لأنك تعتقد أنني أجري وراء كريس، كما أظن؟

- لم يعد من المجدي تعريض كريس لما يبدو أنه أصبح افتتاناً.. فلدي مصالح أختي لآخذها بعين الاعتبار.

ردت بحماقة:

- وإذا وعدتك بأن لا أتعاطى معه مطلقاً؟

امسك ذراعها ورفع أكمامها إلى فوق لتظهر الكدمات التي تسبب بها كريس حين كانا على الجزيرة:

- لا تقولي لي أن هذه جاءت لوحدها.

احمر وجهها بشدة:

- كان مجرد حادث.

- هذا ممكن، وأنا واثق أن كريس لا يفعل هذا عن عمد.. لكن قولي لي.. أهذا عمل رجل ليس في نيته شيء؟

هزت رأسها بعناد، وهمست:

- آسفة... مع ذلك اعتقد أنك بالغت في تقدير مشاعره..

رد بخشونة:

- الأفضل أن نعود إلى حديثنا الأصلي.. موعد رحيلك. وأظننا سننجح اكثر انطلاقاً من هذه النقطة.

ودار رأسها بنوع من الصدمة المشوشة، وردت دونما منطق، في وقت كانت تحاول فيه أن ترد ببرود:

- اليكس وأنا.. نود البقاء مدة أطول.

قطب بحدة:

- إلى متى؟

لم تستطع اجبار نفسها على كشف كل اوراقها.. في ظنها، لو تماسكت بضع دقائق بعد، فقد يطلب منها نسيان كل شيء والبقاء.. وهذا ما سينقذها من الإذلال الكامل حين تضطر للتوسل. وقالت بخفة:

- بالتأكيد.. لم تعد تشك بمن أنا؟

صاح وهو على شفا فقدان أعصابه.

- كاثرين! أنا لا أشك بمن أنت.. ولا اعتقد بأنك وضعت دبوساً على خريطة وقررت الهبوط في ذلك المكان. لكن ما رأيك لو نبدأ منذ البداية؟ أظنك خططت لشيء، ومن وقائع أساسية وأريد أن أعرف بالضبط ما هي.

هذه إذن النهاية..! كيف يمكن لها أن تحول إلى كلمات كل الإرهاب والرعب الذي تعرضت له ودفعها دونما منطق للوصول إلى هنا؟ يومها، وفي قمة الغباء... بدا لها الأمر سهلاً.. هل سيفهم هذا أبداً؟

- أفقدت لسانك؟

من المذهل كيف أن مثل هذه السخرية منه كانت دائماً تثير فيها شجاعتها من جديد.. فقالت بجرأة:

- اليكس وأنا.. لا نستطيع العودة.. فليس لدينا مال، ولا مكان نعود إليه. لذا أخشى أن نكون قد التصقنا بك.

صوتها الفتيّ كان واضحاً صافياً، ومتحدياً.. للحظات نظر إليها بغضب يفوق وصف الكلمات. وارتفعت يداه وكأنه يحاول قتلها. لكن حين اجفلت فزعه، عادت يداه إلى جانبيه، وتولاه غضب عاجز.

- اجلسي.. ومن الأفضل أن تحضري نفسك لاعتراف كامل.. فلا أريد سماع انصاف الحقائق بعد الآن.

حين بدأت كاثي، بعد بدايتين مزيفتين، تروي الوقائع علمت أنها تزيد الأمر سوءاً، وأن من المؤكد أن كلامها لا يقنع أحداً، حتى نفسها:

- والدي أفلس.. ثم حصل حريق مات فيه.. بعدها اكتشفنا ما آلت إليه أعماله.. مكتبه في المدينة بقي سالماً، حيث كان يبقي مذكراته. ولا بد أنه كان يُجري أبحاثه منذ سنوات،

www.elromancia.com

ووجدنا كل التفاصيل في المذكرات عن شجرة العائلة.. لذلك قررت أنها فكرة جيدة لو جئنا لنعيش معك.

- هكذا بكل بساطة؟ منذ متى مات والدك؟

وكأنما لم تقل له هذا.. أم أنه نسي؟

- منذ وقت قصير.

- ألم يخطر ببالك أن أي شخص عادي كان عليه أن يبدأ بكسب معيشته بنفسه وبطريقة عادية؟

أتقدر أن تقول له مدى الفشل الذي واجهها في هذا؟

- كان الأمر صعباً بسبب اليكس.

اشتدت خطوط فمه:

- وكان يجب أن أعرف هذا.. ربما كنت مهملاً مثلك تماماً.. لا ملابس لديك، ما عدا حقيبتين رثتين ربما اشتريتهما من حانوت بيع أدوات عتيقة.. ووقعت في الخدعة!

مال فوقها بغضب، أنفاسه ترسل شرراً..

- أتعلمين كاثرين.. لقد نجحت في جعلي احمقاً ممتازاً.. وهذا شيء لم أسمح به من قبل.. أصدقائي قد يتمتعون بسماع هذا!

حدقت به بضعف:

- لست أرى كيف يمكن لأحد أن يصل إلى مثل هذا الاستنتاج.

- ألا ترين كيف؟ حسناً، هذا شيء لن أهتم بالجدال فيه.. تابعي كلامك فقط.

قفزت كاثي واقفة بيأس:

- أنت لا تفهم..! أنا.. أنت لديك الكثير، بينما اليكس ليس لديه شيء! أنت لم تره يوماً بعد يوم يتضور أحياناً حتى أصبح على وشك الانهيار.. ولا تعرف هذا الشعور.. و.. أولئك.. أولئك الرجال.. لو عرفت حقيقتك.. لما جئت مطلقاً.

امتد فمه بابتسامة، دون أية رحمة فيها، عيناه على وجهها الأبيض الشاحب البائس، كانت متجهمة باردة:

- هذا سهل التعويض وسأدفع لكما أجرة العودة.. وعندها ستنسين أننا نعرف بعضنا.

اذن.. لقد جاء الوقت الذي يجب أن تعلب فيه ورقتها الرابحة:

- لا..! لا يمكنك إعادتنا.. فلن ينجو اليكس أو يعيش! ثم أنت مدين لنا لتتركنا نبقى.

- مدين.. لكما؟

- صحيح! جدك الأول اقترض من جدي الأول خمسماية جنيه، وكان أخاه، ولم يردها مطلقاً. طوال هذه السنوات.. مع الفائدة.. لا بد أنها وصلت مبلغاً ضخماً حتى الآن.. أو على الأقل ما يكفي لرعاية اليكس وأنا... وبقائنا هنا، لسنة أو سنتين، ولإرساله إلى مدرسة جيدة.

- أيتها المرتزقة الحقيرة..!

وأكمل بنعت جعل أذنيها تحمرّ إذلالاً. وكان إلى جانبها في

www.elromancia.com

خطوة واحدة. يداه هذه المرة لم تترد لتمسك بكتفيها وتهزها. وصاح بها:

- ما هو الاثبات الذي لديك؟ وما نوع الدفاع الذي تملكينه لتخططي كل هذا؟

استلزمها كل ذرة من قوة ارادتها لترد متحدية:

- كل شيء موجود، بالحبر الأسود على ورق أبيض، سجلات لا يمكن خمدها.. وصلت إلي عبر أجيال.. المال لم يردّ مطلقاً!

- وكل قصدك أن أدفعه أنا؟ بالرغم من نظرياتك الكبيرة.. مثل هذا من المستحيل إثباته. ومن السخف حتى مناقشته!

- أوه.. أعرف أن من المستحيل أن تثبته أية محكمة قانونياً. لكن هذا لا يمكن أن يمنعك أن تكون رجلاً شريفاً. ظننتك ستكون مستعداً للتعويض عن إهمال اجدادك.

باشتداد سواد وجهه، أصبح يشبه جده الأول بلاك.. وأحست كاثي بأكثر من الخوف يغمرها. للحظات تخيلت نفسها عادت إلى تلك الأراضي البرية التي تدعى «هايلاندز» والتي أخذت عائلتها اسمها منها، وموسيقى الغرب تعزف من بعيد أنغامها التقليدية.. وأن أحد رجال «الهايلاند» سيضربها.

لكنه نجح في السيطرة على أعصابه وقال:

- لا يمكن أن تكوني جادة! اتتخيلين أنني سأسمح بأن تبتزيني؟ فهذا بالضبط ما تفعلين.. ولأجل بضع جنيهات

حقيرة؟ اتطلبين أن أدعك تعيشين في فخامة لما تبقى من حياتك، دون قيد أو شرط؟ إنك لا بد مجنونة!

تحولت كاثي إلى البرود:

- لكن اصدقاءك لن يفكروا هكذا، لو تسربت الحقيقة إليهم.

نظر إليها نظرة حادة كادت تقطعها إلى نصفين، وهي تحاول الوقوف في وجهه، وزحزحته بأية طريقة ممكنة.. ولوعني هذا، ولأجل اليكس، أن يبتلع آخر ذرة من كرامتها، وقال ماثيو، دون أي دليل ارتباك أمام تهديدها:

- إذا أردت نشر القصة أيتها الحقيرة.. فستكونين أنت مثار الهزوء. هيا افعلي.. هذا إذا ازعج أحد نفسه بالاصغاء إليك. منذ لحظة شاهدتك تقفين قرب سيارتك المحطمة، عرفت أنك المتاعب نفسها!

- أكنت.. انت.. الراعي الطويل الذي...

- اجل. وكان علي أن أنتهي منك في الحال! لكنك ستكونين بعيدة عن هنا، حين يأتي الصباح.. سيارتك مليئة بالوقودة، وسأتصل بوكالة السيارات وأدفع الفاتورة، إضافة إلى ثمن التذكرة.. ومصروف أكثر من ثلاثة أسابيع، ستلغي كلها ذلك الدين الذي تتحدثين عنه.. هذا إذا كان موجوداً!

- أتعني هذا حقاً!

- بالطبع اعنيه! بإمكانك استغلال جسدك الناعم، وعناقك

الرقيق في مكان آخر. إذ اعتقد أن هذا كله كان جزءاً من تمثيلية. كلها بنظرة واحدة في النهاية!

ورمى برأسه إلى الوراء وضحك بسخرية حادة:

- لو فكرت بالأمر قليلاً آنسة هايلاند.. لقلت أن من الجيد أن اتركك تقيمين هنا فترة أكثر. كيف ظننت أنك قادرة على ابعادي عنك؟ أم انك كنت تفكرين بأشياء أخرى تقدمينها لي لتحقيق ما تريدين؟ بضعة أيام أخرى كان يمكن لك أن تدفعيني إلى التوسل!

ارتفعت يدها وكأنما لتضربه، فأمسك بها وقال:

- ألا يمكنك تحمل أن أفلت من قبضتك؟ إذا كنت ترغبين بوداع حار.. يمكنني إعطاؤك هذا!

قبل أن تدري ما يفعل، كان قد جذبها إليه، يسحقها على جسده إلى أن التصق وجهها بألم على صدره. وكانت ستصرخ لو أنه ترك لها مجال التنفس، أو القوة لتفعل. ثم، حين ظننت نفسها على وشك الاغماء، تركها فجأة حتى كادت تقع، ومدت يديها إلى الخلف لتمسك بكرسي وراءها وتتهاوى فوقها.

- سأودع كريس عنك.. يبدو أنك تميلين الآن إلى الوداع الدرامي.. كاثرين!

ردت مختنقة:

- على الأقل.. طلب مني الزواج. وكان شريفاً.. لم يوجه

الإهانة لي.

نظرته الغاضبة اليها كانت بسبب ايملي:

- كريس انخدع باغرائك الواضح.. وبزوج من العيون الناعسة. وما أن تغيبين عنه حتى يعود إلى رشده.

- أنت تحب التسلط.. أليس كذلك؟ الآخرون أمامك مجرد آلات تديرها حيث تشاء.. وتفعل هذا ببراعة حتى أن أحد لا يلحظ هذا. وهذا الزواج يلائمك أنت لا غيرك لذا يجب أن يتم، دون الاهتمام بما إذا كانا يحباب بعضهما حقاً.

- أتظنين الحب مهم... والسبب الوحيد للزواج؟

- كنت آمل هذا.. فبكل تأكيد لا يمكن للمرء أن يسعد مع شخص دون أن يحبه.

- أنت مخطئة.

- لا! لست مخطئة. ولو شاهدت كريس مرة أخرى، سأوافق على الزواج منه، لمجرد أن أكيد لك!

- لن اهتم، لأن هذا لن يحدث.. سأحضر لك السيارة حوالي التاسعة صباحاً.. وسيعطيك هذا الوقت الكافي للاستعداد.

لم تنم تلك الليلة، حتى أنها لم تدخل الفراش. بل جلست على حافة السرير تتطلع إلى الأفق البعيد المظلم. وما أن أطل نور الصباح حتى وضبت أشيائها البسيطة في الحقيبة، ونظرت للحظات طويلة إلى الصورة، قبل أن تضعها في عمق الحقيبة.

www.elromancia.com

ثم ايقظت اليكس لتقول له أنهما سيغادرا في الحال.. وكان هذا الجزء هو الأصعب، بعد فراقها عن ماثيو.. ولم يصدق اليكس إلى أن بدأت كاثي بالبكاء، لكن لوقت قصير، ثم استجمعت شجاعتها بسرعة..

وحدق بها بلهفة:

- ألم يعجب ماثيو بك كاثي؟

- ليس بالقدر الذي اعجب بك.

لف ذراعه حولها محاولاً طمأنتها:

- لا تقلقي.. سأعتني بك.

وبلباقة تجاوزت عمره، بدأ يوضب حقيبته صامتاً..

* * *

- ٨ -

الاقامة.. بأي ثمن؟

وصلت السيارة يقودها الشاب الميكانيكي الذي كان يصلحها. وهي على وشك ان تشكره. واعطاها رزمة وتمتم:

- الريس قال ان اعطيك هذه.. قال انها شيء نسيه لكنك تعرفينه.

شكرته باختصار ومررت الرزمة الى اليكس قائلة له:

- اظن اننا سنجد فيها المال اللازم لتذكرة العودة.

كان اليكس هادئاً جداً وشاحباً؛ وكأنه مكبوت.. يبدو أن هذا الرحيل المفاجيء قد أثر به بعمق ومن الأفضل أن تتركه وشأنه. انه ولد ذكي، وباعطاءه البداية الصحيحة كان سينجح في أي شيء يصمم عليه... ربما كان عليها أن ترد بنعم على طلب كريس ليدها.. أما كان هذا أعطى اليكس الرعاية الملائمة؟لكنها على الارجح لن ترى كريس مرة اخرى. ومن المستحيل أن تسعى اليه... أم انها يجب ان تفعل؟ ايهما حقاً

www.elromancia.com

ما يفكر ماثيو به أو ايملي؟ هل قام احد منهما بالتفكير بها؟ لا.. ربما هذا ليس انصافاً، وليس مناسباً. انها هي المطفلة.. فهناك مشاعر ايملي نحو كريس..

لكن هذه يمكن ان تكون مجرد نزوة... ألم تسافر أكثر من مرة وتتركه لأشهر طويلة؟ مع ذلك لم تستطع إقناع نفسها بالرغم من خيالاتها المجنونة، بأن تذهب الى منزل كريس... كل ما عليها الآن أن تفعل هو أن تحاول ان تنسى كل شيء.. ولربما، لو فكرت بالامر، لوجدت أنها نجت بنفسها بخفة.. لكن لو أنها فقط استطاعت ان تفعل شيئاً لأليكس!

وهي تتنهد بعمق؛ سمعت اليكس يتحدث عن هليكوبتر. صاح وهو يضع يده السمراء فوق عينيه لرؤية أفضل

- الطائرة تلحق بنا كاتي.. انها تمر فوق الطريق وتحافظ على مسافة بيننا.

- ربما احد الرعاة يتفقد القطيع.

لم تكن تجد الطريق الترابية سهلة. ولم تكن مستعدة لارتكاب غلطة المرة الماضية.. والهليكوبتر قد تعني اشياء كثيرة.. قد يكون ماثيو يتأكد مغادرتهما.. أو أنه أرسل احداً ليراقب سلامتهما.. على كل الاحوال ليس بمكان بعيد لتصل الى التقاطع الذي يوصلها الى الطريق العام.

شاهدت، في المرآة، سيارة تقترب من سيارتها وهي لاتزال على مسافة من الطريق العام. كانت السيارة تلفها غبار الطريق.. وحين اقتربت، اجفلت لرؤية كريس لاوتون

فيها... وتذكرت انه اتفق مع الجميع على الخروج بنزهة، وأنه ليس مثل ماثيو يستخدم الهليكوبترفي تنقلاته...

كان كريس تقريباً يلاصق سيارة كاتي حين عرف من هي.. وشاهدت فمه ينفتح دهشة، وكاد ان يتجاوزها ملوحاً بيده، حين كاد يصطدم بها.. وبعد نظرة اخرى، ليتأكد من أنه لا يتخيل، نزل أوقف السيارة على الطريق واطفأ المحرك وصاح وهو يركض نحوها:

- كاتي! ماذا تفعلين هنا بحق الله.

- أسفة كريس. لا استطيع التوقف للحديث معك.. فأنا مستعجلة.

- - راحلة؟

ابتسمت!

هذا ما يبدو.

كاثرين!

كان عليها ان تمنعه من اكلام امام اليكس.. وعليها ان توفر عليه مزلة الرفض مرتين. فلن تستطيع الزواج منه بعد ان عرفت ماثيو.. استدارت الى اليكس.

- انتظر قليلاً اليكس.. اريدالتحدث الى كريس قليلاً.

قفزت من السيارة بسرعة لتنضم اليه.. قد يكون رفضه ثانية مؤلماً.. لكنها تعلم انها لن تستطيع أن تكون له. وقال لها قبل أن تكلمه:

- لماذا لم تقولي لي أنك راحلة؟

www.elromancia.com

قررنا هذا بسرعة هذا الصباح.

لم ينخدع بكلامها وقال تقطباً:

- واين ستذهبين؟

الى موطني.. انكلترا.

كاثي.. حبيبتي...

صوته متوسل لدرجة اضطرت أن تصلّب نفسها.. وقبل أن يتابع.. سمعا مرة اخرى ازيز الهليكوبتر ثانية فوقهما.. صوت نزولها الى الارض كان يصمّ الآذان، فضاقت عيناً كريس:

- ما هذا بحق الشيطان! أوه.. انه ماثيو!

وكان ماثيو.. مع أن قلبها ضرب بشدة من الصدمة إلا أنها نظرت اليه باعصاب باردة.. هل جاء ليودعها واليكس؟

بعد احناءه رأس بسيطه الى كريس، تجاهله ماثيو تماماً.. عيناه كانتا على كاثي التي لم تنظر اليه مطلقاً... وقال لها بلهجة متسلطة آمرة:

- اريدك العودة معي كاثرين.

اخذت كاثي تفتش عن كلمات رفض لم تحضرها مطلقاً لكنها لم تتحرك نحو الطائرة. وهذا لا بد يشير الى رغبتها في البقاء حيث هي لكن ماثيو تابع دون اهتمام بأي شيء يوجه الكلام لكريس:

- بامكانك اعادة اليكس معك الى المزرعة.. ايملي تنتظر، ولقد ذكرت شيئاً عن نزهة.. ولقد وعدت السيدة جبسن بأن

تعتني باليكس الى ان تعود... اخشى ان يكون قد حصل بيني وبين كاثرين سوء تفاهم.

تقدم الى اليكس في السيارة يكلمه بصوت منخفض لم تسمعه كاثي ومهما كان ما قال له، فهو لا يفسّر مطلقاً البهجة التي بدت على وجه الصبي.. ولم تستطع ان تسمع رده الهامس.

بخروجها من ذهولها القصير؛ علمت أن الوقت حان لأنهاء مثل هذا الهراء. فاذا كان ماثيو يرغب في اطالة احد عذاب الفراق، فعليها أن ترفض المضى مع مخططه. كريس وامام ذهولها، مع علمها بضعف شخصيته، لم يعترض، بل توجه الى شاحنته ينتظر أن يلحق به اليكس.

صاحت كاثي وهي تركض نحو سيارتها:

- لا تفعل!

ونظرت بغضب الى ماثيو.

- أنا لست قادمة معك ماثيو بلاك. اظن اننا تكلمنا بما يكفي!

اغتنم اليكس فرصة وصول ماثيو الى كاثي، وهرب نحو كريس كالارنب. فصاحت به يائسة:

- اليكسندر!

لكنه لم يسمعها.. بل الارجح انه ادعى عدم سماعها.

- عد الى هنا!

لكنها كانت تحدق بخوف مذهولة بالشاحنة التي بدأت

www.elromancia.com

تختفي.. واحست بأنها محمولة فوق العشب نحو الهليكوبتر وسرعان ما اصبحا في الجو يبعثران تجمعا للعصافير. وسمعته يتصل لاسلكياً بالمزرعة يأمر الرجال بأن يأتوا لاخذ سيارتها.

حقيبة يدها، والرزمة التي ارسلها لها.. كانت معه ووضعها في حجرها، ولم ينظر اليها وهي ترميها بعيداً عنها.

كانت يداه قويتان واثقتان فوق المقود.. لكنه بدا مشغول الفكر، وكأنه لا يركز على ما يفعل.. تسير في لؤمها كاثي بدأت تعد البحيرات الصغيرة في البراري الواسعة.. فجأة احست بالزعر لهبوطه قرب احدها. وكأنها وجدت نفسها في برية جميلة كالجنة، ومع أنها بدأت تعتاد الى مثل هذه المناظر الرائعة إلا ان هذه المناظر لم تفشل مرة في اذهالها.

وكما كانت تشك.. لم تجد عينا ماثيو على المناظر حولهما. بل كانتا عليها، وكأنه يفكر بأمر ما.. ومهما كان ذلك، فقد علمت انه فكر به على استعجال. هذا اذا كان يتعلق بها. ولم تحاول مطلقاً خداع نفسها بانه يميل اليها، فوجهه كان لا يزال قاسياً، ينقصه كل انواع اللطف من بعيد أو قريب.. مع ذلك فحين تكلم لم يكنْ في صوته القساوة المعتادة:

- من الافضل أن تنزلي.. سنجلس على حافة الماء.. هذا أكثر راحة من البقاء هنا.

حين لم تتحرك، احدت نظرته، ونزل من مقعده ليتقدم الى بابها، ومد ذراعيه:

- هاك.. دعيني اساعدك.. تبدين مذهولة.

- دون وعي... رفعت يديها كالطفل، وحين انزلها الى الارض أحست انها تحيد قليلاً تحت قدميها.

- شكراً لك.

اكوام من الحطب كانت متكومة حولهما، جافة من حرارة الشمس، وحضرّ ماثيو كومة منها وراقبته بأخذ الثقاب من جيبه ويشعلها. ثم ابتسم، وكأن شيئاً لا يحدث!

- الطقس ليس بارداً.. لكن الهواء رطب هنا من تأثير الماء.. والنار ستكون مبهجة.

حاولت كاثي جاهدة لكنها فشلت في الرد على ابتسامته جلس على بعد قدمين منها على حطبة كبيرة. وقال متأملاً بها:

- جئت بك الى هنا. لانني اردت ان احدثك بعيداً عن المزرعة.. حيث لن تتأثري بجوها.

ردت متصلبة:

- لقد تحدثنا ليلة أمس. ولا استطيع التفكير بكلام آخر.

- بل هناك الكثير بعد أن فكرت ملياً بالامور.. ويجب أن تعترفي أنك رميتي الامور في وجهي فجأة. اليس كذلك؟

- ولكنك لا تبدو انك رجل سريع التأثير بشيء. وتصورت دائماً انك تفكر بكل شيء.

- معظم الاشياء، نعم.. لكن الابتزاز ليس أمراً عادياً.. يلزم بعض الوقت لتفهمه.. تقريباً أكثر مما استطيع ابتلاعه..

صاحت به ساخطة؛

- ابتزاز؟

www.elromancia.com

رده كان أكثر نعومه:

- كاثرين! لقد هددتني باخبار جيراني اذا لم ادفع لك... فماذا تسمين هذا؟

- لم يكن الأمر هكذا... فلست اسعى للمال! كل ما اردته بيت ليستقر فيه اليكس.

- واذا لم اعطه بيتاً.. هل ستفكري بمن هو مستعد ليعطيه؟ هكذا اذن..! لقد ادرك هذا الصباح انها من السهل ان تلتقي بكريس. او أنها ستزور منزله لتطلب المآوى.. وهو إما يحب ايملي جداً ولن يترك كاثي تكدرها، أو أنه مصمم على الخلاص من شقيقته، وسيعرض المآوى على كاثي حتى يزول الخطر عن كريس. صحيح انه لم يعرض هذا بعد، لكنها متأكدة انها غير مخطئة في استنتاجاتها المجنونة.. حين لم ترد على كلامه.. قال لها:

- كاثرين! سالتك سؤالاً.. ولقد ضمنّت الرد.. وساطرح عليك الآخر.. لكن هذه المرة اريد رداً صريحاً.. وليس مجرد تنهيد! ماذا كان يقول لك كريس وتلك النظرة على وجهه؟

- لا شيء!

- حسناً كاثرين! لست مضطرة للإفصاح عما في نفسك فعندك امر كريس الآن.. وساقول لك اقتراحي! قالت متصلبة:

- اليكس بدا سعيداً! فماذا قلت له...؟ لو قلت ان بامكانه البقاء، فاظنك فظ ظالم!

صاح بها بحدة!

- اصمتي! واصغي الي! اتريدين ان يحصل على تعليم جيد؟

- ومنزل جيد كذلك.

- ولو حصل على الاثنين معاً.. فكم ستكوني ممتنة؟ الامتنان! هذا قد يعني أي شيء، ولا يمكنه خداعها!

- ليس بما تفكرين.. ليس بعد على أية حال.. أنا بحاجة إلى المساعدة في المنزل.. وقد تكوني مفيدة لي. ربما كنت لي منّة من السماء، لكنني لم أعرف بها حتى هذا الصباح.

- وكيف يمكن أن أكون مفيدة لك؟

- السيدة جبسن ستتركني.. وكانت تحضر نفسها منذ مدة..

لكن الأحداث مؤخراً، منعتها.. إنها أصبحت مسنة.. وأخيها الذي يعيش في انكلترا بحاجة إليها بعد أن ماتت زوجته مؤخراً. وتريد الانضمام إليه. لذا سأحتاج إلى مدبرة منزل جديدة.

لم تكن كاثي تتوقع هذا مطلقاً، ولم تتخيل نفسها أبداً كمدبرة منزل. مع أنها تعرف كل الواجبات كما شاهدتها في منزلهم سابقاً.

- وماذا عن السيدة بلاك.. الن تمانع؟

- لا.. للعديد من الاسباب. سأكتفي باثنين منها: أنها لا تهتم باي عمل منزلي، وهي لاتتحمل الاقامة في المزرعة منذ وفاةوالدي

- يبقى ايملي.

- اه.. ايملي.. هنا اتوقع منك أن تبعدى نفسك.! اريدها أن تتزوج من كريس.. اتظني نفسك قادرة على مواجهة هذا؟

- لست ادري...

وتمنت لو تقول له أنها ستساعده في أية طريقة ممكنة، وبسعادة لكن، هي متأكدة انه لولا هذا لما فكر ثانية بأن يطلب منها البقاء. وعاد الى سؤالها بعد ان طالت الصمت:

- حسناً آنسة هايلاند. ماهي نتيجة التفكير؟

رفعت نظرها اليه وقالت بريبة:

- هذا اذا كنت تظن انني قادرة على هذا؟

- هيا الآن.. اين هي روح القتال لديك؟ لن تتركنا السيدة جبسن قبل نهاية الاسبوع. وهي مستعدة لتعليمك كل شيء.. ثم هناك ارملة احد رعاتنا لا تزال تأتي للمساعدة كل يوم كما تعلمين والاخريات يساعدن حين نطلب منهن.

- يبدو وكأنني ساجلس على كرسي واصدر الأوامر.

- لا تخدعني نفسك.. امامك الكثير من العمل.

- و.. مقابل هذا؟

سارعاك، والبسك، وارسل اليكس الى مدرسة جيدة.. بعدها الى الجامعة التي درست فيها... اذا حصل على علامات جيدة.

يبدو هذا كثيراً! اذا حصل كلاهما على علامات جيدة.

وامتد امام تفكيرها سنوات طويلة من الخدمة المنزلية..

ليس لانها قد تمانع لو أنه يحبها... فهل ستتحمل؟ كيف ستتحمل مثل هذا القرب منه ومن العلاقة معه؟ وادارت وجهها بعيد عنه:

- لن اتمكن من رد الدين لك.

- ظننت الامر معكوس، وأنا المدين لك.

- هذا ما دُفعت لاصدقه.. لكنني ادركت ان قضيتي ضعيفة.

- لم يكن هناك قضية اصلاً كاثرين.. وأنا مسرور لادراكك هذا. فلست ارغب في العيش بضمير معذب.

على وشك ان تتابع مجادلته، وجدت نفسها فجأة غير قادرة على الكلام. وبدأت ترتجف حين برز امامها كل ما حدث خلال الاسابيع الاخيرة.. وهاجمت اطرافها لمدة فهي لم تستطع ايقافها أو اخفاءها.. حتى انها خافت ان تفقد الوعي.. فتمتمت وعيناها جاحظتان في وجهها الابيض كالاشباح:

- ماثيو...

لم تع شيئاً من ركوعه امامها واحاطته لها بذراعيه حتى لا تقع.. كل ما احست به شهقة هستيريا تصاعدت الى حنجرتها لم تستطع منعها. ومن خلال دوار شديد ادركت انها لو قررت البقاء..

فمن الأفضل لها وله أن يؤمن انها تهتم برجل غيره. وإلا فسيعرف حقيقة مشاعرها. ليس لأنها متأكدة انها تحبه.. فكيف لها ان تحب رجلاًيفتقد للحساسية ولا يتردد في توبيخها حتى

www.elromancia.com

وهي متعبة؟

- كاثرين..! تعرفين جيداً انك ستتغلبين على هذا.. كريس لن يسعدك ابداً. ثم أنك لو كنت تحبينه فعلاً لما تجاوبت مع غيره كما فعلت معي. ردت هامسة.. مع شهقة اخرى جافة:

- لست ادري عما تتحدث.

امتدت يده ترجع خصلات شعرها الذهبي الى الوراء، ولامست اصابعه خدها العاجي.. ثم انزلقت تحت ذقنها لتشد رأسها اليه وتريحه على كتفه، واخفض رأسه اليها يقبل شعرها:

- ايجيب هذا على سؤالك؟ لا تحاولي المقاومة! وتذكري أن لدينا شبحاً نود الخلاص منه.

ايمكن أن يعني كريس وكل بقية الرجال الذين هربت منهم في حياتها؟ كيف يمكن له ان يتصور انهم الآن ضمن نطاق تفكيرها؟ الطريقة التي بدا فيها وكأنه سيمتلكها دون ان يفعل شيئاً لإخافتها. والامر هكذا مدمر، ولا بد أن يصل بها هذا الى الخاتمة الطبيعية.

ماهي إلا لحظات حتى احست انها مغشوشة:. صدمها الاحباط حين ابعدها عنه، وتراقص شعرها كهالة ذهبية حول وجهها المشتعل.. مع ذلك وهي ترفع رموشها، احست انها نسيت كل الكلمات. ونظر اليها ببرود:

- غرضي من هذا العناق، ليس اختبار مدى تحملي.. لكنك كنت على وشك الهستيريا واحياناً يلزم صدمة لمجابهة

صدمة اخرى اتشعرين انك افضل حالاً الآن؟

افضل؟ كيف يمكنه طرح مثل هذا السؤال؟

- لا..

- وهذا ما اعنيه تماماً.. انت ضعيفة امام الرجال.. ويجب ان تكبري.

كلامه هذا اعادها الى تعقلها.. لا يمكنها التفكير بأي شيء اكثر توحشاً مما قاله الآن. هل يصدق فعلاً انها تستجيب هكذا الى أي رجل يحاول عناقها؟ لو أن هذا صحيح لكانت افضل حالاً بدونه:

- أنا لست طفلة

- سنناقش هذا في يوم آخر.

- شكر لك سيد بلاك.

- وهذا امر آخر. من الآن وصاعدا لا سيد بلاك أنا ماثيو حين يصدر أمراً بهذه اللهجة لا مجال للمناقشة معه.

- اذا كان هذا ما تريد.. ماثيو. لكنني سأحس بالاستغراب لقد جئت بصورتك، وكلنا كنا نعرفها باسم بلاك.

- قد لا يكون الامر سيئاً للبدء من جديد.

- لست واثقة انني راغبة في هذا.

- أنا في الواقع لا أعرف نفسي جيداً.. ولم افكر انني يوماً ساترك فتاة بسيطة تؤثر عليّ هكذا، وتدفعني الى تصرفات خارجة عن عاداتي.

- ربما كانت هذه ضربة شمس.

www.elromancia.com

- ربما..

نظر الى وجهها الشاحب:

- هل تناولت الفطار؟

- لا لم اكن جائعة.

- ولاحظت انك لم تاكلي شيئاً عند العشاء.. هل نمت جيداً؟

- لا...

- وهذا ما ظننته كذلك.. لكنني انصحك ان تغيري عاداتك.. هذا اذا كنت تنوين فعلاً ان تكوني مفيدة لي.. كاثرين!

* * *

- ٩ -

أنت لي!

طوال طريق العودة الى المزرعة كانت كاثي تفكر ما إذا كانت محقه بما فعلت. والايام التي تلت لم تعطها الرد الواضح. وبدا من سخرية الاقدار ان تحقق ما كانت تشعر اليه، ومع ذلك تبقى مليئة بالشك ازاء المستقبل.

في المزرعة، لم تظهر الدهشة على احد لعودتها. مما دفعها للتساؤل عما اذا كان قد عرف احد برحيلها، عدا السيدة جبسن. لكن المهم هو ان اليكس بدا سعيدا للترتيب الجديد.. لكن الواقع أن عملية رحيلهما وعودتهما كلها بما فيها تلك اللحظات بين ذراعي ماثيو. بدت لها مرعبة. لكنها مستعدة لتكرارها اذا كانت تعني عودة البهجة الى وجه اليكس.

وكما توقع ماثيو، لم تهتم زوجة ابيه بدور كاثي الجديد لكن عرفان كاثي بجميل المرأة كان عمره قصيراً فهي بدت تظن انها قادرة على توجيه الاوامر لها كما تشاء. اما ماثيو، فبالرغم من

www.elromancia.com

معاملته المحترمة لها امام الجميع.. إلا انه لم يحاول اخفاء واقع انها لم تعد ضيفة في منزله... وتصرفه هذا صدمها حتى العظام اكثر من أي شيء آخر.

بتعاسة لم تحاول كاثي طلب اي ايضاح منه.. وقررت بينها وبين نفسها ان هناك الكثير من الافضل ان لا يقال. وهي كذلك لم تكن ترغب في الدخول معه في اي جدال حول كريس.. فمن الداخل كانت تحس انها اكثر من مرهقة، فالايام الاخيرة بدت مسببة أكثر للتوتر مما تنبأت به.

لكن، امام اسفها وصل كريس تلك الليلة للعشاء لأول مرة بعد ترك السيدة جبسن العمل. وكان كريماً جداً في ابداء استحسانه لها.. وبالكاد رفع عيناه عنها، وبدا شحوب الموتى على ايملي. ولم يتردد ماثيو في مهاجمة كاثي حين انفرد بها في المطبخ:

- لقد عقدنا اتفاقاً كاثي.

- لم انس.. تجعل الامر يبدو انني عمدت أن يبدي اعجابه.

- صحيح.. لكن لا تدعي الامر يحدث مرة اخرى. حين يكون هنا التزمي عملك هناك الكثير يمكن ان تضعي فيه العنان لخيالك.

لم تعجبها سخريته فصاحت.

- انت مستحيل! طالما تكبح انت عنان خيالك سأكون بخير!

- لم يلزمني الكثير لأقرأ ما كان في عيني كريس.

امسكت البلوزة التي ارتدتها لأكثر من أسبوع:

- اتظن حقاً انني قد اجذب أحداً بهذه؟

- إذن لقد بدأت تتذمرين.. تلقين التلميحات.. الست راضية بما لديك؟

- اوه!

واستدارت عنه، فشدها ثانية لتلتفت:

- احب من خدمي ان ينظروا الىّ حين اكلمهم.

- ايها الـ...

- كاثرين...!

- اووه.. حسناً.. أنا اسفة.

- هكذا افضل.. ولو ان الحماس ينقصك في الاعتذار. واظن ان لو اصر كريس سأكون مضطراً للتدخل بنفسي..

سمعا صوتا خارج الباب، وشاهدت كريس يفتحه وايملي خلفه وصينية القهوة بين يديها، في تلك اللحظة بالذات كان يحتضنها وكأنه يتعمد هذا.. وتمتم:

- سنرى ما سنفعل بخزانة ثيابك، في الغد سنذهب الى البلدة.

وسمعت صوت من يستدير ويسارع في الابتعاد، فصاحت بصوت هامس اجش:

- اكان يجب ان تعانقني الآن؟ الا تظن ان هذا امر سخيف؟

- قد لا تصدقي كاثي.. لكنني مستعد للتمسك باية حجة.. وهذا امر من الافضل لك ان تتذكريه حين تتحدثي

www.elromancia.com

كثيراً.

ذلك المساء جائت السيدة بلاك الى غرفتها، ووجهها بعيد جداً عن الود:

- قالت لي ايملي انها شاهدتك وماثيو في المطبخ.. والمحت الى انك كنت بين ذراعيه.

- كانت غلطة.. ماثيو كان يحاول ازعاجي بالمزاح.. هذا كل شيء.

- ولماذا قد يرغب في هذا؟

- انا مدبرة منزله.

- كلنا نعلم ما يعني هذا!

شحب وجه كاثي:

- ارجوك سيدة بلاك. أنا احاول ان اكون مفيدة.. وظننتك موافقة.

- وماذا قد تفعلي بعد زواج ايملي وعودته الى المدينة؟ حتى شقيقك سيكون في المدرسة.

- سابقى هنا.

- لوحدك.. مع ماثيو؟

الغضب الذي تملك كاثي جعلها ترتجف:

- سيدة بلاك.. ارجوك! فالسيدة ادوين ارملة الراعي.. ستعيش معنا هنا على الارجح.

- اعرف تماماً من هي السيدة ادوين.. إنها مسؤولة وقادرة ومتوسطة العمر، تميل الى الكبر في السن. وهي التي تشير الى

ان وجودك هنا سخيف.. خاصة وانها ستكون غطاء لوظيفتك.

- لست ارى سبباً لمتابعة هذا النقاش.. فانت لن تفهمي!

- لابأس في هذا.. طالما تفهمي انت!

واضح انها كانت ترغب في ان تقول المزيد لكنها كانت تخشى غضب ماثيو.. فاخذت تنتقي كلماتها بحذر بارد:

- لا تسيئي فهمي عزيزتي.. فساشعر انني مسؤولة لو حدث لك شيء. فالرجال ميالون لألا يحرموا انفسهم من شيء يقدم لهم على طبق.. وماثيو ليس بالاستثناء.

ادركت كاثي انها ربما كانت غبية حول اشياء كثيرة.. لكن الم يتأخر الوقت الآن للأنسحاب؟ وكانت صادقة مع نفسها لتعترف في سرها ان السيدة على حق فيما تفكر فيه... ثم الا يمكن ان تكون واعية لنظرات كريس اليها كما يعيها ماثيو تماماً؟

في الصباح التالي، وصلت المطبخ لتجد ماثيو بشرب القهوة.. وسرعان ما نظرت اليه نظرة عدو. دون معرفة السبب. وقالت له ساخرة:

- السيدة بلاك زارتني ليلة امس، لترى اذا كنت مرتاحة.

- آه.. حسناً.. ساعود حوالي التاسعة.. فكوني مستعدة وسآخذ ايملي معي.

- وماذا عن الفطار؟

- ساكتفي بالقهوة حتى ما بعد.

انقلب الامر الى ان ماثيو لم يأخذ ايملي معه فقط بل اليكس

www.elromancia.com

كذلك. الذي بدا سعيدا بهذه الرحلة... فهو لم يستقل طائرة خاصة من قبل، ولم يحاول اخفاء حماسته لهذا. وتأثر ايملي بازدياد حماسته. وسرعان ما غرقت معه بموجة مزاح مرح سعيد، انقلب الى ضحك متواصل لهما وهما في المقعد الخلفي.

نظرت كاثي الى ايملي بدفء ودهشة... ربما لم تكن الفتاة سيئة كما تظن فبعيداً عن امها كانت تبدو شخصاً مختلفاً تماماً.

بوصولهم الى ملبورن، اعلن ماثيو انه واليكس يتجولان لوحدهما بينما تتبضع الفتاتان معاً. توقفت ايملي قرب مخزن كبير شبهته كاثي بالمخزن الذي كانت تشتري منه اغراضها في وطنها، وقالت ايملي:

ـ نحن عادة نشتري كل شيء من هنا، حين لا نكون في سيدني.. فهل ندخل ام تفضلين التجوال قليلاً؟

في المخزن لا حظت كاثي ان ايملي تبالغ في الشراء وتضع كل شيء على حساب ماثيو، واكدت لكاثي انه سيدفع الحساب وهو سعيد:

ـ خاصة انه يعرف أن كل هذا خاص بجهازي.

ـ لكن الخطوبة لم تعلن بعد.

ابتسمت ايملي:

ـ ليس بالضبط.. لكن المعروف اننا يوماً سنتزوج.. والمسألة لا تتعدى تسمية اليوم المحدد. وليلة امس قال لي اننا يجب ان نفكر جدياً...

ـ ربما يطلب يدك في زيارته القادمة، اذن؟

ـ انه قادم في الغد، وعلى الارجح سينام عندنا.. واذا لم يكن عندنا زوار كثيرون فقد يفعل.

اكانت هذه مجرد ملاحظات عرضية ام انها تلميح مغرض؟ بسرعة اشترت كاثي ثلاثة فساتين رصينه احدها للمساء والآخرين للمطبخ.. ودون أن تتمكن من المقاومة، اضافت في آخر لحظة فستاناً ملوناً مليء بالزهور، لا يبدو عملياً لأي شيء ما عدا الزينة. والى ان التقينا ماثيو واليكس لتناول غداء مؤخر، كانتا معاً مرهقتين.

احست بالسعادة لرؤيتها اليكس سعيدا.. لكنها كذلك كانت تختبر انطباعاً سيئاً، انها لوحدها في قارب كسرت دفته، وسط محيط عاصف.. وليس في يدها اي شيء سوى ان تترك نفسها تسير كما يجرفها التيار.

زيادة كريس لم تكن للهو فقط، فهو جاء ليتمكن من شراء بعض الجياد الانكليزية الاصلية التي يبيع ماثيو منها سنوياً من قطيعه. وبدا على ايملي انها فعلاً مطمئنة القلب بانتظار طلب نهائي منه. وهي لم تقل هذا بصراحة، لأنها دائماً تميل الى اخذ كل شيء حول كريس كأمر مسّلم به. لكن كاثي اليوم، احست بقلقها الداخلي، وتصميمها على ان تدفعه لهذا. حضّرت كاثي وجبة العشاء، وتركتها تنضج تحت اشراف السيدة ادوين.. وسارعت الى غرفتها حيث استحمت وارتدت الروب لتخرج الى غرفة ايملي لترى ماقد تحتاج.

دقه خفيفة على بابها سمحت لها بالدخول، وعاجلتها ايملي

www.elromancia.com

بالتذمر حول شعرها:

- انظري الى هذا.. أنا لا أعرف كيف اسّرحه.. وحالته تعني كل الفرق بين أن أكون جميلة أو قبيحة!

- دعيني اساعدك.

وما هي إلا دقائق، حتى سَرحت لها شعرها بطريقة جميلة مختلفة عن عادتها.. وقالت لها:

- انظري اليه جيداً.. ما رأيك؟

- عظيم! انت ساحرة! اين تعلمت ذا؟

- لم اتعلم.. وأنا لم اهتم قبلاً بشعري.

- انت عظيمة.. وسيصعق كريس حين يرى التغيير..

لكنني سأريه اولاً لأمي.. فهي تعاني نفس مشكلتي هنا في الريف. وارجو أن يكون ماثيو بمزاج جيد الليلة. منذ عودتنا من ملبورن كان كالثور الهائج! ألم تعامليه جيداً؟

أعامله جيداً.

- حسناً.. تعرفين كيف.. حبة ساخنة واخرى باردة

- ليس كما تعني..

- كاثي، بالتفكير قليلاً.. اجدك شاحبة منذ عودتنا.. منذ متى وانت هنا حبيبتي؟

- عدة اسابيع.

- هل وقعت في.. المتاعب؟

- متاعب؟

- رنت ضحكتها:

- هناك نوع واحد من المتاعب تقع فيه الفتاة مع رجل.

- ايملي! لا يمكن ان تعني...

- اوه.. اهدأي كاثي..! هذا يحدث كل يوم حول العالم. وماثيو ليس بالقديس.. مع فتاة مثلك...

- نعم! وما خطب فتاة مثلي؟

- كل ما اعنيه كاثي.. أن لك مظهر بريئاً.. ويقول كريس انك تشكلين تحدياً لأي رجل.

- شكراً لك! لكن، اؤكد لك انني واخاك، لم نشترك.. في اي نوع من أي شيء.

- اذن ليس هناك من ضرر.. انت تعلمين ان ماثيو ليس اخي الشقيق. وعادة لا اراه كثيراً.. ولأجل الله.. لا تقولي له شيئاً مما قلته لك. فقد لا يعجبه.

تنهدت كاثي.. خلال خبرتها القصيرة في الحياة..

تعلمت ان مثل هذا الحديث هو المفضل بين الفتيات... ايملي وكأن شجاعتها خانتها فجأة.. خرجت من غرفتها راكضة دون كلمة اخرى وتوجهت كاثي الى غرفتها لتكمل ارتداء ملابسها... وهي تفكر بماثيو وما قالته لها ايملي، كلمت نفسها بصوت مسموع: لو انني فقط لا احبه هكذا!

بعد العشاء كالعادة، ذهب اليكس الى النوم. وبعد أن قدمت كاثي القهوة، نوت أن تستريح كذلك.. لكن ولخيبة املها، طلب منها كريس ان تعزف لهم شيئاً:

- إما البيانو أو الغيثار. ربما تحب ايملي ان تسمع غناءك..

انه رومانسي جداً.

رفضت كاثي متذرعة بالتعب. فهي ترفض أن تسرق الاضواء من امام المرأتين بحضور كريس. وقالت بسرعة!

- لقد وعدت بأخذ قهوه ماثيو له الى الشرفة .

وانسحبت لتجد ماثيو جالساً حيث أملت أن تراه..

- جئت لك بالقهوة قبل ان تبرد.

وضعت الفنجان قربه، واستدارت لتعود، لكنه امسك يدها:

- بدوت شاحبة طوال المساء.. هل ازعجك احد؟

- لا.

- اجلسي الى جانبي.. الامر يزداد سوءا عليك، اليس كذلك؟

ولأن احداً، لم يكن لطيفاً معها منذ زمن طويل، انهارت امامه دون مقاومة لتجلس عند قدميه، وتضع خدها باستسلام على ركبته.

- هاي.. ما كل هذا؟ اوثقه ان احداً لم يزعجك؟

صوته كان مجفلاً، مهتماً كما لم تسمعه من قبل... لكن.. لو انها فقط تستطيع ان تقول له! وهي تستريح هكذا، تسعى فقط الى ارتياح عابر، كادت تصل الى نقطة الانهيار.. لكن لحظة الضعف هذه مرت، واخذت تكتسب سيطرة غير ثابتة.. وهزت رأسها وهو يسأل ثانية لتقول.

- انت تتجاهلني منذ عودتنا من للبورن.

- هذا صحيح!

ولم يقدم اليها اي تفسير، وعاد رأسها الى الأنحناء.

- الهذا التباعد علاقة بي؟

- ممكن.

تحركت يده الى كتفها ببطء. فغاص قلبها.. ايمكن أن يكون قد سمع الشائعات؟ واحست بلذعة الدموع في مأقيها!

- لا اقصد ان أزعجك .

- تزعجيني..؟ انت لا تزعجيني ابداً كاثرين... لكن يجب ان تعرفي انك تؤثرين بي... فأنا مجرد بشر.. وانت فتاة جذابة جداً. احياناً أكون مستعداً للاعتراف بأنني اريدك..

لكن الرغبة والامتلاك امران مختلفان.

اخذت اعصابها تسترخي ويده تدلك العضلات المتوترة على كتفيها الصغيرين... أنها لا يمكن أن تفكر بشيء ما تريده أكثر من أن تكون له:

- وهل يجب ان يكونا هكذا؟

ضحك متوتراً.

- بشكل عام.. اجل.!

- حسناً.. ما الفرق؟

- كل الفرق يا طفلتي العزيزة... مثلا احس انني محتاج لأجراء فحص لدماغي.. لمجرد انني سمحت لما جرى في الاسابيع الماضية أن يجري. وأنا احاول بجهد شق طريقي بتعقل عبر متاهة واسعة.. ولا استطيع السماح بتعقيدات اخرى..

ليس بعد!

دون وعي لفت ذراعها الناعم الابيض حول ركبته .

- وكيف يمكن أن أكون انا جزءاً من التعقيدات؟

- بكل سهولة.. انت صغيرة ومرغوبة جداً، وأنا لست رجلاً دون انانية وحب ذات .

اذن في بعض ما قيل ألم تكن ايملي على حق؟ كل الرجال سواء، حتى ماثيو بلاك! واحست برغبة حادة ان تتجنبه كما كانت تفعل مع الآخرين.. لكنها كانت تتقبل سيطرة ماثيو عليها. برجفة صغيرة من الندم.. ربما سرعان مايختفي امام احساس طاغ من نوع آخر.

- كنت اظنك مختلف!

- لا تعتمدي على هذا كاثرين. فهناك من يستطيع اخفاء مشاعره بشكل افضل... لكن امام مواقف محدودة، لا يعود هناك مجال للاختيار بين كل الرجال.

- لست ادري حقيقة مشاعري نحوك.. اذا كان قدري ان اكون لك. سمعت انفاسه تشتد عمقاً:

- هناك طريقة واحدة للمعرفة، والكلمات لادخل لها هنا. وهناك على كل حال، امور يجب ان نناقشها قبل ان تصل الى مراحل اخرى. . لكن.. ليس الليلة.

فجأة سمعا ضحكة ايملي المرحة مختلطة بضحكة كريس وهما يخرجان الى الشرفة.. بجفلة، رفعت كاثي رأسها تراقبهما يمران قربهما ويختفيان في الخارج.. فهمست .

- اتظن انهما شاهدانا؟

- هذا ممكن.

- وماذا سيظنا؟

- لا تشغلي رأسك بهما.. فبالنسبة لهما، ارجو ان تنتهي المتاعب قريباً.

- متأكد؟

- قد اكون قاريء افكار. هيا بنا.. انت متعبة، وسأوصلك الى غرفتك.

رافقته بسرعة. وكأنما لا ارادة لها. ما أن وقفت حتى ارتجفت، فاحتواها بين ذراعيه .

- ساحملك.

- أجل.

فجأة احست بتعب شديد منعها من اية مقاومة، بل انها كانت سعيدة في الاعتماد عليه، واغمضت عينيها المثقلتين، ولفت ذراعيها حول عنقه، والقت برأسها على كتفه.. ولم تشاهد السيدة بلاك تقف في الردهه، ولم تلاحظ أن ماثيو شاهدها كذلك. عند باب غرفتها.. استجمعت نفسها .

- ماثيو.. أنا لم أر السيدة أدوين.. أواني العشاء والقهوة!

- اتركي الامر لي.

وفتح الباب ليدخلها بحذر وكأنها شيء ثمين ووضعها في الفراش ثم احكم غطائها وطبع قبلة على جبينها قبل ان ينسحب ويقفل الباب خلفه.

www.elromancia.com

وعرفت في الصباح التالي ان كريس خطب ايملي. وحين سألت كاثي عن موعد الزفاف اجابت ايملي!

- بعد شهرين . وهذا يعطيني الفرصة لأكمال الجهاز.. وقد توافقين ان تكوني وصيفتي.. ابنة عم صغيرة اسكتلندية قد تكون شيئاً جديداً!

تراجعت كاثي عن ان تقول لها انها ربما لم تعد اسكتلندية كما يجب.. وتساءلت في نفسها كيف يمكن لأيملي ان تتحمل انتظار شهرين. حين تحدثت مع ماثيو بالامر قال:

- تريد ايملي أن تتزوج في ملبورن، فقد قضت معظم حياتها هناك. واهل كريس مطلقان والدته متزوجة ثانية في ملبورن. اظن ان هذا سيناسب الجميع.

- وسينتظرا لشهرين؟

- لا تبدين موافقة .

- يبدو لي هذا وقت طويل لمن يحب .

- وهل تحبني كاثرين؟

اخفضت رأسها عنه ولم ترد.. فأكمل:

- كان بامكانك ان تحبي بالطبع. فتاة مثلك لا يمكن أن تكون دون أية خبرة.

تصادمت نظرتها مع نظرته وهي تحس بالالم. افكاره اذن تمر في نفس القنات مع افكار زوجة ابيه!

- كل انسان ملزم بآراءه الخاصة... لكن من العدل التأكد اولاً انها أراء صحيحة .

- هناك اشياء كثيرة يجب أن اتأكد من صحتها حولك كاثرين .كل شيء في وقته.. والوقت تحتاجين اليه انت أكثر مني.

- الا تصدق ان فتاة في مثل عمري قادرة على ان يكون لها رأيها؟

- اكثر الاحيان.. لكن هناك اشياء تحتاج الى تركيز شخص راشد .

- وانت تظنني لازلت طفلة؟

- اذا اضطررت لاعطاء الرأي، اجل... في بعض الامور انت مجرد طفلة. وتحتاجين الى حماية.

- ماذا لو كنت لا اريدها؟

فكر ملياً بشجاعتها المؤثرة:

- مثلك مثل معظم الاناث، لك طريقة خاصة في الاتصال بالرجل. لكن دعيني اقول لك، يا ساحرتي الصغيرة.. هذا لا ينجح معي تماماً.. ليس بعد.. على اية حال.

بدأت كاثي تضع الاواني في ماكنة الجلي.. ايملي سبق واخبرتها بكل خططها للاسابيع القادمة.. لقد قررت ان تمضي بضعة ايام في مزرعة والد كريس قبل ان تعود معه وامها الى ملبورن.. لكن ما ادهش كاثي كان رغبة ايملي بمرافقة اليكس الى مزرعة لاوتون.. ونصحها ماثيو ان تتركه يذهب:

- بعد ثلاثة اسابيع سيذهب الى المدرسة.. وفرصة قصيرة بعيداً عنك، قد تفيدكما معاً. منذ متى لم تفترقا عن بعضكما؟

- منذ وفاة ابي..

www.elromancia.com

- اذن، انتما بحاجة لهذا.. ولن يحس اليكس بنصف الم الفراق بعد هذا الغياب القصير عنك.

- اجل.

انها تعرف تماماً ان ايملي واليكس متفقان تماماً، وان ايملي تحب الصبي. واكملت!

- وهل ستذهب السيدة بلاك معهما؟

- لا.. ستبقى هنا، ثم ترحل مع كريس وابنتها الى ملبورن في الاسبوع المقبل... ادى لاوتون، والد كريس، لا يطيق والدة ايملي، مع انه يحب ابنتها... اما انت فعليك التمسك بدور الاخت لأليكسندر، بدل دور الابوين معاً.

واتركي لزوجه مهمة مسؤولياته.

- لكن.. لا زوج لي.

- لا.. ليس لك زوج.. لكن بامكانك الحصول عليه سريعاً. حاولت ان تبتسم بخفة فلم تستطع.. فأكمل:

- حتى ذلك الوقت ما رأيك لو تتركني اتدخل؟ ساوصلهما بنفسي بعد الظهر، وارى كيف سيتجاوبّ اليكس هناك.. واذا لم يعجبه المقام.. اعدك أن اعيده.

- لا اريدك ازعاج نفسك لأجلي. اعرف كم انت مشغول.. ستانلي قال..

- لا تهتمي بما يقوله ستانلي.. إدى لاوتون اشترى قطيع ثيران من ابن عم له، لكنه لم يعد واثقاً ان الصفقة جيدة.. ويريد مشورتي. على الارجح سانام هناك واعود في الصباح.

ذلك المساء.. كان العشاء غريباً لها وهي لوحدها مع السيدة بلاك. التوتر بينهما كان ملموساً لدرجة احست كاثي انها قد تقطعه بسكين... لكن لم تهاجمها السيدة بلاك الا عند تناول القهوة. وسألتها ببرود:

- كم ستبقين هنا بعد؟

نظرت اليها كاثي بحدة:

- اظننا بحثنا هذا الامر قبل الآن.

- هذا ليس رداً!

قررت كاثي أن من الأفضل عدم اثارة المرأة.. فكل شيء فيها كان على انها مستعدة للقتال. وقالت بهدوء:

- لست واثقة انني استطيع اعطاءك رداً. اليس من الافضل لو تسألي ماثيو؟

- ولم اسأله؟ لقد رأيت كل شيء بوضوح بأم عيني.. واعرف تماماً لماذا يتركك هنا:

- اسفة.. لكن لا اظن...

- اسفة؟ على الارجح انت لست اسفة.

- في الواقع ليس هنالك داعي للأسف. ليس بالنسبة لك ولا اظن انني او اليكس، سببنا لك اي ضيم!

شيء ما في وجه كاثي الابيض شحوباً. مع شجاعة كلماتها أثار حفيظة المرأة.

- الا تعلمين ان كل شيء يتعلق بماثيو يهمني! كيف لنا ان نعرف انك لست سوى فتاة غامرة عادية؟ لقد جئت الى هنا

وعكرت صفو حياتنا. فماذا سنظن بك.. ثم ان ماثيو يحب فتاة جملية طيبة في ملبورن... فماذا تتصورين انها ستشعر حين تعرف انك هنا؟

- فتاة في ملبورن؟ اتعني انه سيتزوجها؟

- وما غير هذا..؟ انها مجنونة بحبه!

رفعت رأسها بكبرياء والم:

- لن افعل شيئاً لمنع هذا... اذا كنت تقصدين التلميح

ضغطت السيدة لأجل فرصة لا شك فيها:

- انت ذكية.. ويجب أن تعرفي ان وجودك هنا لا يساعد؟

- ساكلم ماثيو.. واغادر المنزل على الفور.

ردت المرأة بحدة:

- لا تكلميه.. اذهبي فقط . وقد تتمكني من هذا قبل عودته.

- لا استطيع.. فهناك اليكس.. كما انني لا استطيع الذهاب قبل أن اشكر ماثيو على كل ما فعل لأجلنا.

وفقدت السيدة بلاك اعصابها.. في لحظة. كانت تقف على قدميها لتصفع الفتاة على وجهها بيدها المليئة بالخواتم.

- وماذا تظني نفسك تفعلين!

- صيحة ماثيو جعلت السيدة تستدير على عصبيتها مرتعدة.. مصدومة برعب ساحق لم تستطع الرد.. وراقبت خرساء وابن زوجها يقترب بسرعة الى جانب كاثي ويحيطها بذراعيه يحميها. الغضب في عينيه يحيلهما الى نقطتين حمراوين

وهو يرى اثر يدها على وجه كاثي..

وكسرت كاثي الصمت الرهيب.. كانت مصدومة من ظهوره قدر المرأة تماماً.

- لاشيء في الامر ماثيو.. ارجوك! انا بخير.. وقد تكون زوجة ابيك فقدت اعصابها لكن ليس دون مبرر..

وسارعت السيدة بلاك تقول:

- انا... اعرف انك غاضب مني ماثيو.. لكن يبدو انك ورطت نفسك في وضع حرج يحتاج لمن يخلصك منه.. وبكل بساطة كنت ابذل جهدي في هذا. وستوافق كاثي معي. ويجب ان تشكرني على هذا.

- ليس بما رأيتك تفعلين! كاثرين.. حبيبتي.. ايمكن ان تتركينا قليلاً. سانضم اليك بعد دقائق.

اطاعت كاثي، لكن بدلا من البقاء في الداخل ركضت عبر الباب المفتوح نحو الجدول. هناك على بعد نصف ميل من المنزل تترقرق ساقية الماء مليئة بالحياة.. اصبحت المكان المفضل لها.. واذا اراد ماثيو فعلاً ان ينضم اليها بعد كلامه مع زوجة ابيه، فعلى الارجح انه يعرف اين يجدها.

لكن المياه الهادئة المنعشة الليلة لم تقدم لها شيئاً من السلوان الذي اعتادته منها. وحدقت كاثي بالماء في نصف العتمة يائسة... صحيح انها كانت سبباً لكل هذه المتاعب؟ وبآهة صغيرة معذبة رمت نفسها فوق العشب المبلل بالندى المسائي البارد وبدأت تنتحب..

ـ كاثرين!

شخص واحد فقط يناديها هكذا... ربما لو بقيت جامدة لن يراها.. ويبتعد. لكنها لم تحسب حساب قماش فستانها الملون البراق. وسمعته يسحق العشب متجها اليها.. مجفلاً بعض العصافير الآمنة في اعشاشها القريبة.

ـ كاثرين! تعالي الَيّ حبيبتي!

وقبل ان تستطيع الهرب، كان يركع امامها ويحتويها بين ذراعيه كما قد يفعل لطفل.. برقة وثبات ادارها نحوه، يمسح الدمع والشعر عن وجهها الساخن.. بتفحص بدقة الأثر الطويل الاحمر الذي تركته اصابع زوجة ابيه على خدها:

ـ اسف جداً.. طفلتي.. كنت مستعداً لأي شيء لامنع هذا من الحدوث.. لكنني لا أظنها ستزعجك ثانية.

ـ اوه.. ماثيو.. الاتعتقد انني سببت ما يكفي من اذى للجميع دون ان اخلفك مع عائلتك؟

رد بصلابة وقسوة:

ـ انا لا انظر اليها كعائلة.. لم تكن يوماً أم لي.. وبغض النظر عن هذا، لطالما حاولت جهدي لأجلها. ولا شيء يعذر تهجمها عليك كما فعلت. على كل الاحوال لا اعتقد اننا سنراها لفترة طويلة.. لقد سويت معها بعض الامور.. امور استحقت منذ زمن بعيد. وما اذا كنا سنستقبلها هنا في المزرعة ثانية يتوقف على تصرفاتها في المستقبل... مستقبلنا نحن.. فأنا احبك يا حبي!

ـ ماثيو.. زوجة ابيك قالت انك تحب فتاة اخرى.. فكيف يمكن ان تحبني؟

ابتسامة كانت ساحرة مدمرة.

ـ هناك عدة فتيات في ملبورن وفي كل مكان، تود زوجة ابي ان تزوجني منهن. لكنني لا اهتم بأحد منهن.. انت الوحيدة.. انت من ساتزوج.. قبلت بهذا ام لم تقبلي!

ـ انت تخترع كل هذا لتواسيني! اوه ماثيو لم تعذبني هكذا؟

ـ منذ رأيتك كاثرين.. قلت لستانلي انك الفتاة التي ساتزوجها لكنني كنت احاول اثبات انني اريدك. وازددت اقتناعاً..

اردتك العودة الى لندن لالحق بك الى هناك واتزوجك في بيتك.. لكنني كنت اجهل انك لا تملكين بيتاً.. كنت اود الرجوع بك الى هنا عروساً لي. لكنني اعتقد انك تميلين لي لأنك منجذبة بشكل غامض الى صورة جدنا الاول.

ـ لقد تخلصت من هذا منذ زمن ولم اعد اخلط بينكما!

ـ وهكذا افضل.. فهناك طرق كثيرة لأجعلك تميزين بيننا... وتعرفي انني أنا من لحمك ودمك!

ـ اسفة ماثيو لتهديدي لك بدين جدك.

ـ اجل.. يجب ان تكوني اسفة..! كان بامكاني اظهار كتاب اعتراف موقع من جدك في الثمانينات من القرن التاسع عشر تظهر أن الدين مدفوع بالكامل.

ـ كان يجب أن تقول لي هذا.

ـ ربما.. لكنني اعترف انني لم افعل لسببين. اولهما انني صدمت وصممت على رحليك وما ان غبت عن النظر حتى صممت أن انساك. لكن لم يمض نصف ساعة حتى اسرعت للحاق بك... وكلي اعذار لهذا، ما عدا العذر الحقيقي!

ـ هلْ خفت ان الجأ الى كريس؟ لم اكن انوى هذا مطلقاً.

ـ اعرف طفلتي.. ولم الحق بك لمصلحة ايملي. وقرب البحيرة..

أكتشفت شيئاً مهما. لقد تعلقت بي، ليس سعيا للراحة. بل لأنك حقاً تريدين ان تكوني بين ذراعي. لكن لو لم اضع مشاعري ضمن كلمات فلا بد انك علمتي ما احس به في كل مرة احتضنتك فيها!

ـ لماذا عدت هذا المساء؟ كيف عرفت انني ساحتاجك؟

ـ احست بشيء خاطىء. ولم استطع البقاء.. حبي لك جعلك جزء مني، حتى انني عرفت بالغريزة انك بحاجة لي. ثم هناك شيء آخر كنت اتحدث مع اليكس بعد الظهر واخبرني الكثير عن حياتك في لندن منذ وفاة والدك... وعن الوظائف والرجال الذين رفضتهم.. انه لم يعد صغيراً لا يعرف ما دفعك للمجيء الى هنا. اوه كاثرين.. كنت اود ضربك لأنك لم تخبريني عن هذا بنفسك.

ردت دون خجل:

ـ لكنني افضّل ان تحضنني.

ـ هذا أمر واجب، لم اعد استطيع مقاومته. ايتها الساحرة

اللعنة الصغيرة!

فهمست له وهي بين ذراعيه:

ـ احبك.

ـ حبك لا يبلغ قدر حبي.. لكنني ساعلمك كيف تحبني وانت صغيرة بما يكفي لتتعلمي بسرعة.. ولتكوني بالضبط كما اريدك.. ستتزوج في الحال، وقبل أن يذهب اليكس الى المدرسة. فقد اعطانا بركته.. وسارعاه كما يجب.

فكرة ان تعيش هنا لما تبقي من حياتها كانت كثيرة عليها. ويجب ان تثبت له في المستقبل كم تحبه..

ـ اجل.. وكل ما اريده ان احبك واتزوجك. انا لك.. فافعل ما تشاء تمتم وهو يشدها اليه.

ـ انت لي!

ـ والى الابد.

ولفت ذراعيها الرقيقتين حول عنقه.

* * *